

إسماعيل راجي الفاروقي في درس النقد الإسلامي للأديان من خلال محاور:
نقد اليهودية والمسيحية وتبني المنهج الفينيمولوجي - الجزء الثاني

Ismail Raji AL-FARUQI

**In the lesson of Islamic criticism of religions through axes:
Criticism of Judaism, Christianity, and the adoption of the
phenomenological - part2**

أ.د شافية صديق

جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية، (الجزائر)

c.seddik@univ-alger.dz

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/26

تاريخ الاستلام: 2024/11/16

ملخص:

منذ الاحتكاك العنيف بين الحضارة الغربية والعالم الإسلامي في الأزمنة الحديثة انتبه عقلاء الأمة إلى الفجوة الكبيرة التي تفصل المسلمين عن حركة التاريخ، وخففوا من الدوران التائه حول الذات مدحا واكتفاء ووضعوا السؤال المركزي: هل نحن في الطريق الذي أراده الله لنا شهداء على الناس بالخيرية التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، بعد أن تكون شروط فعل ذلك قد اكتملت في المسلمين ومن بركات ثمار عقلاء الأمة أنهم وضعوا أسسا متينة للنقد الذاتي وسؤال التقصير القاسيين، خصوصا مع شدة وخطورة أعمال المستشرقين الذين سبقوا إلى تحقيق التراث بدرجات متفاوتة من الموضوعية والحياد، وراحوا ينتقدون بشراسة ذلك التراث وسط ذهول المسلمين وانعكافهم على التغني بالأبجاد التي شرحها المستشرقون اصطیادا لما يطعن في نصاعتها.

البحث في اجتهاد الفاروقي وفق سقف واکراهات ذاتية وموضوعية، يدخل في إطار الاجتهاد الداخلي في الضقة الإسلامية القابل للنقد والنقض، وتحسب لكل اجتهاد أجر كسر القراءات التبجيلية الميتة والميتة والقراءات الهادمة والمحبطة.

في نفس المسار:

اللجنة الورشية رقم 19

في أدبيات نقد المسلمين للأديان يختار الأغلبية التشجير الإسلامي للعناصر كما فعل بوضوح أبي الحسن العامري، بمعنى وضع خريطة طريق إسلامية، ثم البحث عن الأشباه والنظائر في المنظومات الدينية المختلفة.

في دراسة عن المسيحية فضّل إسماعيل الفاروقي دراسة جانب مهم في المسيحية وفي كل الأديان هو المنظومة الأخلاقية.

السؤال الأساسي: هل استطاع في كتابه تفادي الفخ المنهجي في "فرض" خلفيته الدينية بمسوغات يراها هو حيادي؟

مداخل محتملة للإجابات:

1.19 لابد من العودة إلى تكوين الفاروقي في مختلف المؤسسات العلمية الأمريكية، والتدقيق في مرجعيّاتها المذهبية.

2.19 استحضار ثورة نيشه ضد تصور خاص للأخلاق المسيحية، وكذا الأدبيات الفلسفية التي انتقدت الأخلاق المسيحية، وحتى تلك التي حاولت التأسيس لسرح المنظومة الأخلاقية بعيدا عن الدين، كما أراد ذلك إيمانويل كانط، لكنه اضطر إلى الاعتماد على مصادر: وجود الله وخلود النفس وحرية الإرادة⁽¹⁾

3.19 استحضار كتاب Max WEBER حول علاقة المذهب البروتستاني بالرأسمالية الاقتصادية⁽²⁾ وكيف فصل في أن الكالفينية بتمركزها على العمل المبني على القيم الأخلاقية، أكثر من الجدل العقدي، وجّهت طاقات المؤمن إلى استثمار صحته وعمره في الموازنة بين الإيمان والرّفاهية (اليوم هناك لاهوت الرخاء Prosperity theology).

4.19 غالبية الأمريكيين بروتستانت مع تنوع كبير في المدارس، حيث درس الفاروقي ودرّس، لكن هناك عدّة طوائف تفرّعت عن الجذور بعضها ناسفة لها.

5.19 غالبية الكنديين كاثوليك حيث درس الفاروقي ودرّس، والكاثوليكية الكندية ذات مسحة خاصة لبعدها عن مركز الكاثوليكية ولوجود كتلة غالبية في أمريكا لاتينية ذات الخصوصية التي

انتجت لاهوت التحرير (Liberation theology)

6.19 من الضرورة الملحة جدا استرجاع ما يذكر عن حيثيات مشروع الكتاب حول الاخلاق المسيحية مع الاشارة الى اشكالية ترجمة ال ethic إلى اللغة العربية، وهل كلمة أخلاق هي المقابل العربي ل morality؛ نتذكر أن كتاب "ماكس فيبر" المنشور حوالي سنة 1905 هو كتاب الفاروقي:

(The protestant ethic and the spirit of capitalism : A Historical and Systematic Analysis of Its Dominant Ideas)

يحاول إذن الفاروقي مقارنة الموضوع من منظور تاريخي تحليلي نقدي بتتبع الأفكار أو المبادئ الكبرى للأخلاق في المسيحية.

الكتاب تكفلت به جامعة "كاجل" بكندا سنة 1968 وباقتراح من المستشرق وعالم الأديان "ولفرد كانتول سميث Wilfred CANTWELL SMITH"

وكان المشروع واضحا: يقضي إسماعيل الفاروقي سنتين في كلية اللاهوت ليزداد اتصالا بالجو المسيحي عبر القساوسة وأساتذة اللاهوت، حتى يتمكن من جمع المادة ومناقشة علماء الدين والقساوسة.

7.19 الملاحظة الأخرى التي يجب أن تقرأ أيضا بحياد وعمق: أنّ علماء الدين والقساوسة تردّوا في نشر الكتاب بعد انتهاء الدكتور الفاروقي منه، قائلين بأن أي مسيحي مهما غزر علمه لا بد أن يشعر عندما يقرأ الكتاب بأن الأسس الدينية للعقيدة المسيحية توضع موضع الاختبار في أعماق نفسه.⁽³⁾

قبل أن يسارع البعض إلى الاحتفال بالانتصارات الإسلامية في عقر كلية مسيحية، لابدّ من التأكد من محتوى تقرير القساوسة واعتراضاتهم العقديّة والمنهجية، ثم: نقرأ الخبر بطريقة أخرى في الضقة الأخرى افتراضيا: كلية إسلامية تستقبل باحثا غريبا من أية خلفية كانت ولتكن المسيحية، وتوفّر له المادّة العلميّة المتخصّصة واللقاءات مع علماء الإسلام، ثم يكتب الباحث الغربي نتائج أبحاثه بوضع المسلّمات الإسلامية: العقائد محل نقد من المؤكّد أن العلماء المسلمين لن يركّوا مثل هذا العمل، وينبري بعضهم في تبيان الأخطاء المنهجية وتبيان معالم الدائرة المقدّسة، التي لا يجب الاقتراب منها، لأنّها أساس البناء الإسلامي، ولا عيب من التصريح أنّ تلك الدائرة وإن عجزت العقول عن استكناه أسرارها كلّها فهي مسلّمات يقينيّة.

8.19 يرى البعض أن الفاروقي ربط الأخلاق المسيحية بالله في تصور المسيحيين، وهنا لابد من التذكير أن هناك تفاسير مسيحية للآيات التي فسرها الفاروقي، وأن هناك مكتبة ضخمة ومخطوطات لعلم اللاهوت المسيحي عبر تاريخ المسيحية، وبالتالي من غير الموضوعي عرض شبهات الفاروقي (من المنظور المسيحي) بالإيجاء أنه أول من انتبه إليها، وأن العقل المسيحي لم يواجهها في تاريخه.

9.19 كلَّ المعتقدات الدينية لها رؤيتها الكونية (أزمة تداخل المصطلحات ومطاطيَّتها)، ولها رؤيتها الأخلاقية، حتى اللاأدرية والإلحاد يصنّفان معتقد ورؤية كونية.

10.19 وعطفاً على ما سبق في اشكالية الأخلاق المسيحية، لابد من التنويه أن الفكر المسيحي يربطها باللاهوت، وهو ربط نجده في كل الأديان بطرق متباينة الكثافة، فدور الله في مختلف الأديان دور حاضر في حياة البشر وهو ما تؤكدّه النظريات التي ترى التدين فطرة أو حاجة أساسية لدى الإنسان، والحديث هنا عن الفضائل، ولذلك تطرح اشكالية مصدرية فضائل الأخلاق التي يتبنّاها بعض الملحدّين، ومن تداعيات مثل هذا السؤال ظهر اللاهوت الأخلاقي (moral theology).

11.19 صنفت بعض المواقع الرابدة للكتب حول الأخلاق المسيحية وهي كثيرة، كتاب الفاروقي حول الأخلاق المسيحية ضمن الكتب التي تناولت الموضوع من رؤية إسلامية، وهذه البيئة تبدو منطقية للاعتبارات السابقة.

12.19 لا جدال في أن الفاروقي يفهم المسيحية ويقرأ من مصادرها أو بعض مصادرها، لكنّه يشرحها في اتجاه فكرته المركزيّة عن التوحيد وخصائص الدين، علماً بأن علم اللاهوت المسيحي يدافع عن فكرته في التوحيد ذي الأضلع الثلاثة.

13.19 الغرب أننا في العالم الإسلامي نفتقد الكتابات الفلسفية حول الأخلاق الإسلامية كما نبّه إليه العلماء المسلمون كالشيخ محمد عبد الله دراز، ومن ترجم وقدم كتابه الرائد عن دستور الأخلاق في الإسلام: عبد الصبور شاهين، وفي مقدمة دستور الأخلاق إشادة بدور المستشرقين في توجيه الشيخ في أطروحته، وهذه نقطة في غاية الأهمية عن قوّة الشيخ في الاستفادة مما يقوله الآخر لنسج ما يخدم الدين في ملابسات الصّراع الفكري.⁽⁴⁾

15.19 أخطر ما جاء في ملاحظة الشيخ دراز والتي يمكن اتخاذها معياراً لتفكيك ملاحظات الفاروقي عن علاقة اللاهوت بالأخلاق المسيحية: يقول الشيخ دراز عما كتب في الضفّة

الإسلامية عن الأخلاق لم يكن هنالك سوى كتب إنسانية محضة اجهد مؤلفوها أنفسهم فاستودعوها ثمرات تأملاتهم ودراساتهم الفلسفية، ولم يظهر فيها النص القرآني كليتة أو هو لا يكاد يظهر إلا بصفة ثانوية.

14.19 يقول عبد الله دراز في كتابه عن دستور الأخلاق في القرآن الكريم: بالرجوع إلى مكتبتنا الإسلامية لاحظنا أنها لم تعرف حتى الآن سوى نوعين من التعاليم الأخلاقية فهي إما نصائح عملية وإما وصف لطبيعة النفس وملكاها، ثم تعريف للفضيلة وتقسيم لها، مرتبا في غالب الأمر بحسب النموذج الأفلاطوني أو الأرسطي، وكثيرا ما تجد المنهجين يتعاقبان في قلم كاتب واحد (المسيحية المدرسية: السكولاستيكية: La scolastique : التوفيق بين التراث اليوناني والمسيحية في الفضاء الأوربي).

16.19 منهجيا يوضح الشيخ دراز: أنّ المستشرق ماسينيون هو الذي اقترح عليه -إلى جانب القرآن الكريم ومنظومته الأخلاقية- إضافة نظريات المدارس الإسلامية المشهورة، ومكن له ما ضمته مكتبته الخاصة من مؤلفات نادرة وثينة مخطوطة ومطبوعة.

لنفهم عمق الاشكال: نقارن بين مسار إسماعيل الفاروقي الذي وجهه علماء الأديان في الولايات المتحدة إلى مراكز علمية دينية متخصصة، وكان دائما في دائرة المؤثرين في مسار إسماعيل الفاروقي رجال دين علماء من أكثر من دين، وعلماء أديان من غير المتديّنين ومجلفيات متنوعة أيضا.

إن المستشرق يكتب للمتخصّصين من أبناء حضارته ومعهم بعض المهتمّين من غير المتخصّصين من أبناء حضارته أيضا، والدليل البسيط أنّهم لا يكتبون للمسلمين أن الكثير منهم يتقن اللغة العربية بمستوياتها (الشعر الجاهلي مثلا)، ويتقن بعضهم اللغات الإسلامية، ورغم ذلك لا يكتبون إلا بلغاتهم (ضمن حضارتهم يعني ممكن أن يكتب أحدهم بلغة غير لغته الأمّ لأسباب تقنية خصوصا ولكن تبقى اللغة التي يكتب بها أوربية)، ولم نسمع بمستشرق حمل همّ ترجمة كتاباته إلى اللغة العربية أو لغة إسلامية إلا ما كان من مبادرات من المسلمين والعرب.

بالنسبة لاجتهادات علماء المسلمين في نقد الأديان، هم أيضا لم يكتبوا إلا باللغة العربية (أو اللغة الإسلامية) لأنهم للأسف لم يكونوا يتقنون غيرها وهم لم يقرأوا تراث الآخر في لغاته.

ثم أن أوائل من كتب في نقد الأديان في الفكر الإسلامي، كتب في دولته المسلمة وكان يردّ على بعض المتشكّكين من أتباع الأديان الأخرى، الذين كانوا يعيشون في كنف نفس الدولة.

والغالب في أوائل من كتب في نقد الأديان في الفكر الإسلامي، لم يكن مهتما بدراسة الأديان الأخرى من مصادرها وفي خريطة أصول تفكيرهم، ونجد أنّ النّقل عن السابق قانونا داخليا يرجع في النهاية إلى أنّ الكتابة عن الأديان كان أساسا بغرض دفاعي ردا على الشّبهات وطعنا عكسيّا لمعتقدات المنتقدين من ناشري الشّبهات، ولا يخف على المدقّق كيف كان المهتدون مصدرا للمسلمين رغم أن في عرف التّحول الديني يصنّفون مرتدّين مغرضين لا يؤمنون في حديثهم عن أديان تنكّروا لها لأسباب لم تكن دائما مشرفة.

اليوم: في العالم الإسلامي الكتيبات الكثيرة والمقالات الطائرة والفيديوهات المحقّقة للمشاهدات العالية تقع في نفس الفخ.

1.16.19 من حيث المصادر الحقيقية والمراجع.

2.16.19 من حيث الأمانة في النقل.

3.16.19 من حيث فهمها وتأويلها.

4.16.19 من حيث التّمكّن من فهم علوم الأديان: تفاسير الكتب المقدّسة بمدارسها وفقه وأصوله عندهم وعلم اللاهوت وفقه اللّغة والفلسفة وغيرها من العلوم الخاصة في دائرة علوم دينهم مثلما عند المسلمين.

5.16.19 من حيث البحث في الجدل الديني الداخلي للأديان المدروسة. (عندهم أشباه ونظائر للمعتزلة والخوارج والأشاعرة وأهل الحديث، ممّا يؤكّد على ضرورة مراجعة خرائط العقل الديني.

6.16.19 من حيث تبني طريقة الحماسة المبالغة فيها: مفردات وأسلوبها ومنهجها.

7.16.19. إثارة الغبار والجمعجة من منظور تحطيم الخصم الذي أصلا غير معني بهذا الجهد.

8.16.19 حتى وإن ادّعى البعض أن هناك من ارتد عن دينه بفضل نقد المسلمين للأديان، الأمانة تقتضي الإشارة إلى نقد النّقد والبناء عليه في جهد جديد، بدل مواصلة التّرويج لأحكام مضخمة عن الانتصار الإسلامي في نقد الأديان.

9.16.19 الدعوة الصّحيحة كما بيّنها العلماء المسلمون تقوم على البحث عند الآخر عمّا يوافق الإسلام والفطرة السليمة والبناء عليه أولا.

10.16.19 القانون الديني العلمي المنهجي المعرفي الذي يلتزم به المسلم الباحث في الأديان

كمسلم أولاً، هو تكوين معرفة صحيحة وأمانة عمّا عند الآخر، ثم يدخل معركة التحليل والنقد العلميين ويبدل أقصى جهده فيه.

11.16.19 في المعارك العلميّة ليس هناك مجال لتعطيل أو "إراخة" آليات البحث والتحليل لأنّها معارك وليست حرباً، وبعد كل جهد سيأتي من يبيّن نقصاً في، ه حتى إذا سلّمنا أنّ الباحث المسلم ابتداء لم يطبّق قانون آخر هو: الحرب خدعة فيخبط في المنهج والمعرفة ويتحوّل جهده في مخابر البحث العلمي إلى الرّفص الموضوعي .

اللبنة الورشية رقم 20

كانت الأخلاق في الأديان عبر التاريخ مكوّناً أساسياً في منظومة التفكير الديني، وهناك مشاريع قام عليها رجال دين للعمل المشترك في المجال الأخلاقي العام، تصدياً للانحرافات التي تستهدف الفطرة السليمة وأساسيات الإنسان السوي. يمكن إيراد نموذج معاصر عالم اللاهوت والقس الكاثوليكي المعارض للبابوية: Hans KUNG

1.20 في التفكير الديني المسيحي رافد مؤثر قوي هو الفكر اليوناني: مدارس فلسفية وفكرية وعلم منطق وغيره من العلوم، وعبرها تسلّلت بعض أفكار هذه المنظومة الفكرية ذات الخلفية الوثنية والإلحادية، وطبعاً وصلت إلى التّفلسف الأخلاقي، وهنا لابد من التذكير إلى أنّ الفكر اليوناني لم يخل من عناصر متأثرة بالأديان السابقة لليهودية والنّبوات والحضارات السابقة.

يجب عدم صرف الكثير من الجهود في الجدل حول فكرة أن المسلمين هم من نقل التراث اليوناني إلى أوروبا، فالمسلمون أنفسهم اعترفوا أن شراح الفكر اليوناني ومتبّي بعض أفكاره تواصلوا مع هذا التراث عبر ترجمات قام بها غير مسلمين وغير مختصين في الفلسفة، ولجوء الأوربيين إلى التراث الإسلامي الشّارح والمتبّي للفكر اليوناني، كان في فترة تحرّجه من الكنيسة التي تصالحت معه لاحقاً، وعاد الأوربيون مباشرة إلى التراث اليوناني في لغته الأصلية. وأنتجت الكنيسة الفكر المدرسي في القرون الوسطى scolastique توفيقاً بين اللاهوت المسيحي والفلسفة اليونانية خصوصاً الأرسطية.

2.20 في تتبع آثار الرافد اليوناني يلاحظ توافق بعض مباحثه مع أشباه ونظائر في التراث الإسلامي الذي بين بعض الباحثين أن هناك أخذ صريح وربما استنساخ لبعض مباحث التراث اليوناني مع بعض الجهد في التبيّة.

3.20 المسيحية ورثت أيضا تراثا أخلاقيا يهوديا وتراثا للأمم أخرى تالقت مساراتها مع تكوين العقل والفكر المسيحيين، وهنا أيضا من المفيد المقارنة مع مسار مشابه في التراث الإسلامي (الرافد الفارسي والهندي مثلا).

4.20 الفاروقي باعتبار جهوده في أطلس الأديان

" Historical Atlas of the Religions of the World " الذي أشرف عليه وكتب بعض مواده يعرف الكثير عن الأديان في العالم عبر التاريخ الطويل للإنسانية ولا بد أنه لاحظ أن هناك خيطا ما يجمع الأديان أو بالأحرى جزءا من مكوثاتها عبر التاريخ هو خيط الفطرة السليمة واجتهاد عقلي موافق لها يفسره المسلمون لصالح وحدة الخلق ووحدة مصدر الأديان حتى وأن طالها التحريف في عناصر صميمية كما أن يقين الإسلام هو أن كل بقاع الأرض عبر الأزمنة لم تخل من بصمات نبوة حاضرة.

5.20 في دراسة الأديان هناك دائرة النص المقدس ثم دوائر علوم فهم خطابه وتنزيله على الواقع ثم مدارس للتفسير والتأويل والاختلاف بين الأتباع والدارسين تبدأ من المستوى الثاني فكيف يتجاوز الفاروقي الدائرتين ويستخرج من النص المقدس أفكارا ينتقدها دون المرور بعلوم النص ومدارس التفسير والتأويل التي تنطلق من مبدأ التسليم لمركزية النص (هنا الأمر لا ينطبق على الدارسين غير المؤمنين بالنص المقدس).

6.20 اعتمد الفاروقي على بعض الدراسات الناقدة للأخلاق المسيحية التقليدية ولكن من يعطي لهذه الدراسات الشرعية العلمية بمعنى حيادية الأدوات المنهجية وموضوعية التحليل وقبل هذا فهم النص وفق شروطه الذاتية.

7.20 علاقة السياسة بالأخلاق في المسيحية تدور أساسا حول مفهوم حقوق الله وحقوق قيصر ولا بد من التذكير بمراحل تعامل الدولة الرومانية مع المسيحية من المحاربة والاضطهاد إلى التسامح إلى التّبي ديننا رسميا والدارسون كثيرا ما نبهوا إلى براغماتية قسطنطين من جهة التعامل مع الدين الجديد الذي يغرس في أتباعه روح الصبر وقوة التضحية وهما ما يحتاجه كل حاكم في معاركه وحروبه.

ولا بد من التذكير أن الأمر موجود أيضا في الكنفوشية التي تأسست في أجواء الإدارة والبوذية التي تصالحت مع النظام السياسي والسيخ مثلا الذي هو دين لفق بين رافدين في الإسلام يمكن استحضار فكرة معاوية بن أبي سفيان أن مال الدولة هو مال الله وليس مال المسلمين في

الحالة الأولى المحاسب الوحيد هو الله وفي الحالة الثانية من حق مواطن بسيط سؤال الحاكم (عمر بن الخطاب) عن سنتيمترات زائدة ظهرت على طول قميصه.

فظاهرة ارتباط الأخلاق المستمدة من الدين بالسياسة هي عابرة للأديان والتحليل المعمق يجد معالم قانون مرسخ بعقل بشري ينشد تسخير الدين للعالم لإيجابا وسلبا.

8.20 من المواضيع التي كتب فيها بعض علماء المسلمين: الوصايا العشر المستخرجة من الكتاب المقدس والتي يلتزم بها اليهود والمسيحيون: قارن العلماء المسلمون بين أبعادها والمنظومة الإسلامية بل استخرج بعضهم الآخر اشباهها ونظائرها من القرآن الكريم مباشرة: للتذكير أول وصية هي: سفر التثنية: 7/5 لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. والوصية الثانية: سفر الخروج: 4/20: لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. ورغم ما يبدو توحيدا واضحا بالمفهوم الإسلامي إلا أن التفاسير المسيحية وعلم اللاهوت والفلسفة المسيحية أصّلت للتثليث بالاعتماد على قراءة خاصة لها.

لذلك من الخطأ تجاوز الدوائر المحيطة بالنصوص المقدسة التي يستنتقها علماء الأديان ورجال الدين في اتجاه قد يكون أبعد ما يكون على ما يُفهم منها بالقراءة العادية.

اللبنة الورشية رقم 21

هناك فكرة مركزية محورية عناصرها: اليهود ومواقفهم من الأنبياء بين التراث اليهودي - المسيحي والتراث الإسلامي والأخلاق اليهودية توصيف غير دقيق موجود في أكثر من كتاب للفاروقي: فهل المقصود الأخلاق التي جاء بها الأنبياء (في الجزء الموافق مع القرآن صريحا) أم أخلاق بعض اليهود الذين آمنوا بالأنبياء أم الأخلاق التي سكنت ضمائر بعض اليهود الذين بالغوا في الفجور فاستحقوا عذاب الله عزوجل سواء كما نقله القرآن الكريم أو كما هو مدون في نسخ الكتاب المقدس القانونية في الفضاء اليهودي.

1.21 الأخلاق في التاريخ الديني (الأديان السماوية) مرتبطة بالعقائد وكانت القصص وسيلة لترسيخ القيم والتنفير مما يغضب الله عزوجل: بداية بقصة آدم وحواء في الجنة واختراق الشيطان والعقاب والرحمة ثم هابيل وقايل، وبالتالي البحث عن صورة مثالية للإنسان من أي دين كان يعيد دائما إلى صراع الخير والشر الذي لا مخرج من دورانه إلا إلى إله رحيم (أزمة الالهين في الثنوية والتناسخ في الهندوسية أمثلة من تاريخ الأديان).

2.21 النقد القرآني لليهود مرتبط برسالة الانبياء ومرتبطة برسالة الإنسان وقد نبه العلماء إلى أن تلك الأجزاء من القصص بمثابة درس تربوي وعظمي أخلاقي تطبيقي لأن حلقة الإنسان واحدة: فطرة وقابلية للخير والشر وأيضاً مصدر الأنبياء واحد ورسالتهم المركزية واحدة: التوحيد بالنسبة للمسلمين والعبودية بمفاهيم تواطأ عليها مقننو عقائد وشرائع الأديان الأخرى: التثليث نموذجاً).

3.21 الأخلاق والعادات تستند إلى ثوابت ولكنها أيضاً تستوعب روافد جديدة لا تتعارض مع تلك الثوابت وهو ما حدث مع اليهودية والمسيحية والإسلام والبوذية وكل دين خرج خارج خريطته الأولى وقبل دخول الغريب إلى نفس حدود الخريطة وفق عمليات توفيق وتصفية وتلفيق متباعدة الدرجات والأعماق .

4.21 في كتاب إسماعيل الفاروقي حديث عن الإبراهيمية بالمفهوم الإسلامي ودارسو الأديان يعرفون اختلاف خصائص النبي إبراهيم وحتى اسمه بين العهد القديم (يهود ومسيحيون) والقرآن الكريم واليوم هناك الدعوة الإبراهيمية بأفاق جديدة يتم التأصيل لها أيضاً من علماء دين تحت مظلة التأويل والاستخدام السياسي.

5.21 المحبة في الفكر المسيحي مصطلح عقدي مركزي تستخرج منه قيم أخلاقية لها علاقة بالأنجلى كفريضة عين علما أن مراحل نشر المسيحية بدأت خارج الإطار اليهودي بعد المسيح عليه السلام⁽⁵⁾.

6.21 هناك في الفضاء المسيحي جدل داخلي حول اللاهوت الأخلاقي يرتبط بأساسيات في العقائد المسيحية التي كانت أيضاً محل اختلاف بين المذاهب ويمكن توضيح بعض معالم ذلك بإشكاليات فرضها بقوة تيار لاهوت التحرير.

7.21 القراءة الخارجية للأنجيل تجعل البعض يركز على ما يبدو تناقضاً بين القيم المعيارية المسيحية، وهو ما فعله الفاروقي، لكن قانون دراسة الأديان يبيّن أن قراءة النصوص خارج دائرة علوم الكتاب وعلوم الدين الخاصة تؤدي هذه القراءة إلى نتائج غير معترف بها من دوائر الدين المدروس، لذلك بناء الأخلاق المسيحية يجب البحث عنه لدى علماء المسيحية ومن يريد التحليل والنقد يجب أولاً أن يدخل الدائرة المتخصصة ويفكّك العناصر ويبحث عن منفذ للنقد الموضوعي (إشكاليات الأنجيل الأزائية synoptiques نموذج من الجدل الداخلي في هذا المحور).

8.21 من المواضيع الشائكة ألوهية المسيح عليه السلام في الفكر المسيحي، وهي عقيدة يرفضها

اليهود والمسلمون، ويؤسّس لها المسيحيون بالأدلة الكتابية والأدلة "العقلية"، وفي تاريخ المسيحية معالم واضحة لتيارات رفضت التثليث والتأليه، وهذا لا يجب أن يغيب عن كتاب الفاروقي عن المسيحية مادام اعتمد في ركائز بحثه على ركيزة التأريخ، وهذا عمل يحتاج إلى الكثير من الحفر والبحث، خصوصا مع التخلص من الكثير من أدلة وجود تلك التيارات وأدبياتها، مع التذكير أن المسيح عليه السلام في الفكر اليهودي بعيد جدا عن التوقير، عكس الفكر الإسلامي الذي وقرّ أم المسيح واعترف للمسيح بالتميز النبوي: في هذا الباب ربط مع الفلسفة الأخلاقية المسيحية التي جعلت الناسوت جسر العبور من الله إلى الإنسان.

9.21 الأيام المقدّسة وسيلة للتربية الروحية وترسيخ العلاقات الاجتماعية في الفضاء الإسلامي؛ اهتم البيروني بالموضوع في الآثار الباقية.

وبين أهميتها في الحياة الروحية والاجتماعية، الفاروقي جعل هناك تناقض بين السبب والأحد ورسالة اليهودية والمسيحية في ترسيخ العلاقة المقدّسة المنتظمة بين المعبود وعابديه، وفي الحركات الدينية الجديدة هناك إعادة نظر في الأيام المقدّسة لربطها بإكراهات الحياة المعاصرة. وفي الفضاء الإسلامي هناك من طالب بتحويل صلاة الجمعة إلى الأحد في أراضي المهجر تخفيفا عن المغتربين؟؟ وفي اليهودية طالبت بعض تيارات الليبرالية اليهودية بتعديل التواريخ المقدّسة تماشيا مع العصر. (مع العلم وكما نبه البيروني⁽⁶⁾ وغيره، كان التحديد الدقيق للاحتفالات الدينية اصطدم باختلاف الرّزنامات والظواهر الفلكيّة، ممّا جعل الأمر يوكل لرجال الدّين الذين بدورهم يستعينون بالمتخصّصين).

10.21 من الاشكالات المنهجية في التعامل مع مركزية الكتاب المقدس: القضاة وجانبها التربوي الوعظي والتّشريعي، مع الربط بالبيئة والأسباب، وفي العهد القديم المشترك بين اليهود والمسيحيين هناك فروق أساسها الاتجاه المختلف جذريّا في التفسير والتأويل لمباحث الألوهيّة وتداعيات ذلك على مستوى المعاملات، وهنا تقفز إلى السّطح قضية الاختيار للشّعب اليهودي في رابطة مقدّسة بين الله واليهود والتي واجهها تيار من المسيحيّين مع فكرة اللاهوت الاستبدالي La théologie de la substitution والذي كان ردّا على عدم الاعتراف بالمسيح عليه السلام في الفكر اليهودي لا كنبّي ولا كاله طبعاً وكل هذه الاعتبارات يجب أن تكون حاضرا في الكتابة عن اليهود والمسيحيين من أي مدخل كان.

11.21 تدخل وتشابك بين اللاهوت والأخلاق لا يمكن فهمه دون العودة إلى الجدل الديني الداخلي في اليهودية وفي المسيحية، ولكن في اجتهادات التيارات المسيحية التي تهودت والتيارات اليهودية -التي بحثا عن الاندماج في المجتمعات المسيحية- صنعت جسورا بين الدينين بالتخلي عن بعض أساسيات الدين الأصلي.

اللجنة الورشية رقم 22

التصوف والأديان من المواضيع المحورية في بحوث مقارنة الأديان، ومقاربات دراسته متنوعة سواء من حيث مصادر التصوف أو تنوعاته وعبره بين الأديان والفلسفات.

1.22 إسماعيل الفاروقي يرد في كتابه على بعض شبهات المستشرقين عن مصادر التصوف الإسلامي، كما ينقض بعض الطروحات التي تجعل التصوف جسر عبور بين المسيحية والإسلام.

2.22 في التقليد الرهباني المسيحي هناك تياران رئيسيان هما: تيار التأمل والانسحاب الدومينيكان نموذجاً، وهناك تيار الخدمة والاختلاط بالناس لمساعدتهم -الفرانسيسكان نموذجاً وفي التياران تنوعات في فلسفة التصوف والزهد والانسحاب والارتقاء.

3.22 في الفضاء الإسلامي أزمت بين التصوف والطرقية واتهامات جدلية حول مقاصد مدارس التصوف وفلسفتها، ولكن الاشكال يبدأ بالتعريف والنشأة والتأثيرات الخارجية، وفي هذا أدبيات كثيرة صنفها البعض في باب التربية والتربية أي الأخلاق في مفهومها العميق؛ كما سحبتها بعض الدراسات إلى خانة الانحراف عن صحيح الدين وأحيانا الارتباط بجهات تريد شراً بالإسلام والمسلمين .

4.22 الباحث في الأديان يقف دائما عند عقبة استحالة إيجاد تعريف للدين يغطي كل خصائصه وكل أنواعه ويتفق عليه المتخصصون ونفس الأمر مع مصطلح التصوف، ولكن الباحثين أيضا يجدون خصائص مشتركة بين التصوف أو ما يعادله مدلولاً في كل الأديان وكل الفلسفات أهمها البحث عن المعنى والاستجابة لأشواق روحية ملحة، يترجمها البشر حسب بيئاتهم وخلفياتهم العلمية والاجتماعية وأيضاً خلفياتهم المزاجية.

5.22 يرفض الفاروقي الفرضيات التي تقول أن التصوف في المسيحية جاء ردّاً على تصلب وسيطرة التشريع اليهودي، وفي الإسلام ضد تصلب وسيطرة الفقه. ويقدم الفاروقي تعليله لهذا الرفض. والدارس للأديان كالهندوسية أو الكنفوشية أو روحية افريقيا animisme أو الأديان

السماوية يقف أمام تضاريس للدين حسب التربة (البيئة)، والأزمة لا تخل من المادية المتطرفة وسطوة رجال الدين من خلال تضخيم دورهم gourou مثلا، ولكن أيضا روحانية ترفض أن تكسح المراسم مساحات الارتقاء الروحي، وبين الحدين ألوان من التدنّ بتنوّع البشر. أليس التدنّ شخصي ذاتي والدين عام وموضوعي؟

6.22 الرؤية المتوازنة للعقائد والتشريعات يصنعها الإنسان عندما يعود إلى فطرته وصحيح دينه، والنية في الإسلام هي شرط العبادات، وبالتالي يمكن الحديث عن أولوية الروحي عن "الجوارحي".

7.22 ينتقد الفاروقي دور بولس في قضية ألوهية المسيح وثنائية الناسوت واللاهوت وانعكاسات ذلك على محور الأخلاق، ونقد الفاروقي منطلق من الرؤية الإسلامية التوحيدية، ولكن المسيحيين انتحوا تراثا جدليا وفلسفيا ضخما لتجاوز ما رآه الفاروقي ضد العقل والفطرة.

ومن الأفكار التي توقّف عندها الفاروقي في الفضاء المسيحي، مسألة خلق الإنسان على صورة الله، حيث يلاحق الفاروقي الفكرة في كتابات القديس أغسطين، لكن الفكرة أيضا عبرت إلى الفضاء الإسلامي؛ وهناك أيضا آثار إسلامية حول المسألة لا تبتعد في بعض معالمها عن بعض ما هو موجود في المسيحية وفي كل الأديان والفلسفات الروحية: فطرة الله (الله غير قابل للتجسد: حقيقة هناك مخارج في تاريخ الأديان في التوفيق بين رغبة الإنسان في رؤية الله ووجود بدائل للتجسد المباشر، وفي المسيحية من أخطر الأزمات العقيدية قضية الأيقونات والصور المقدسة..

8.22 الفاروقي وبعض الباحثين المسلمين بحثوا عن التأثير الإسلامي على اللاهوت المسيحي وانعكاسات ذلك على مجال الأخلاق وخصائص البعد الأخلاقي لدى الإنسان المؤمن: الحرية الشخصية والنسبية والعقلانية.

9.22 يرى الفاروقي أيضا ما أضافته الحركات الإصلاحية حلاً لإشكاليات "تنزيل" الأبعاد اللاهوتية المسيحية على مجال الأخلاق: السقوط في الخطيئة التي أثّرت على الطبيعة البشرية ودور التجدد الروحي في استرجاع نضاعة الروح قبل الخطيئة (عبر عقيدة الخلاص: ابتداء هل في الفضاء الإسلامي سلمت العقول من هذه الاشكالية في نزول الإنسان إلى الأرض كعقاب من جهة وفرصة توبة من جهة أخرى نتيجة ما حدث من آدم وحواء في الجنة...

اللبنة الورشية رقم 23

- الفلسفات الوجودية قديما وحديثا زاحمت الأديان في الإجابة عن أسئلة إنسانية ملحة حول الأصل والمصير والقضاء والقدر ووسطوة الشرّ وغيرها مع كل تداعياتها على المجال الأخلاقي.
- 1.23 مثل هذه الأسئلة توجد إجاباتها في بعض مخرجات الدراسة التاريخية لنشأة المدارس الوجودية: المؤمنة والملمدة واللأدرية... لكن السؤال الأكثر إلحاحا من الذي يؤسس المدارس ويضع بنياها، وكيف يضع الألوان الخاصة لمكونات البناء ؟
- 2.23 من المواضيع الشائكة في الأديان والفلسفات موضوع الخير والشرّ والتفسير اللاهوتي للشرّ، والملاحظ أن المؤمنين بإله أو بقوة عظمى يتفقون على الأدلة العقلية (الإيمانية) لتفسير وجود الشرّ وانتصاره الظاهر في الكثير من مواقع صراعه مع الخير.
- 3.23 رغم صدق اجتهادات المؤمنين لإيجاد تفسير عقلي لما يبدو انتصارات مدوية للشرّ، فإن حل الاشكال الحقيقي هو في فضاء الدائرة الصلبة للأديان: اليقين وكل الأدلة العقلية التي يوردها المؤمنون هي اجترار لفظي ودوران حرفي (من الحروف) ويمكن القول أنّ التسليم هو الحل لأن سقف العقل محدود ومجال الحل هو بعيد عن هذا السقف لارتباطه بعلم الغيب الذي استأثر الخالق به.
- 4.23 تفسير صراع الإنسان ضدّ نفسه الأمانة بالسوء والشيطان ينقله بعض الباحثين إلى مجال علم النفس ويفسرونه ضمن شبكة الأزمات النفسية والعقد الموروثة، ولكن تيارا في هذا التخصص أسس لعلم النفس الديني اعترافا بمكانة الدين الإيجابية والسلبية حسب رؤية الباحث في الحياة النفسية للبشر، وتأثير ذلك على عالم الأخلاق في كل البيئات.
- 5.23 ناقش المؤمنون دور الخطيئة الأولى في أزمة البشريّة الروحية: جينات الشرّ وبحث الفلاسفة عن الطّبيعة الأصليّة والغالبة في الإنسان: الخير أم الشرّ.
- 6.23 التّخبط الإنساني بحثا عن البصمة الأخلاقية للإنسان، شجّبت اقتراحات المخارج وجعلت بعض رجال الدين وعلماء الدين والفلاسفة يبحثون في الإنسان عن بقايا حلقة طاهرة يتمّ تنميتها ورعايتها للتغلب على مساحة الظلمة والشرّ، فاقترح البعض الصّرامة التشريعيّة التي تسدّ الطّريق أمام الأهواء، واقترح البعض الآخر الانسحاب من الحياة وحياة البشر، ورأى طرف ثالث أنّ الحلّ هو الدّهول كما في الهندوسية أي يتساوى الخير والشرّ في ضمير الإنسان، وهي وضعيّة أقرب إلى الموت الإكلينيكي.

7.23 يبحث الفاروقي في التراث المسيحي عن تشخيص الأزمة وينتقد الحلول المقترحة، لكنّه ضمناً يعترف بوجود حيوية ظاهرة للتغلب على الاستسلام للعبثية وقمع الأسئلة الجذرية المتعبة إلى حدّ التّيه.

8.23 يتحدّث الفاروقي عن "كالفن البروتستانت" ومدرسته الأخلاقية وعن الوجودي "ككيغارد" وفيلسوف الحصريّة الدّينية "كارل بارث"، ولكنّ الدّارس المتأبّي يجد أشباه ونظائر في الفضاء الإسلامي (مقارنة البعض كالفن بآبن تيمية مثلاً) بنفس الآليات والخصائص المرتبطة بالله الخالق العادل، طبعاً مع اختلاف في معالم تفصيليّة في باب الألوهيّة، لكنّ التحليل العقلي وأدواته ينطلق من مسلمة وجود الخالق ورحمته وعدله وأن الاشكال يجب التّدقيق في تفاصيله في النّفس البشريّة التي دخلت معركة الوجود المتحرّر من دواعي الشّر.

9.23 مركزيّة اشكالية الخطيئة في المسيحية مرتبطة بعقيدة الفداء والخلاص ودور المسيح لاهوتياً وناسوتياً وانعكاس أبعاد الاشكالية على المبادئ الأخلاقية وفلسفتها: هل معنى ذلك أن اليهوديّة والإسلام تجاوزا الاشكالية: قصّة آدم وحواء والخروج من الجنّة موجودة في الأديان السّماوية الثّلاثة ولا اختلاف جذري في أصل القصّة، فهل حلّ اليهود والمسلمون عقدة الذّنب من العصيان؟

10.23 حياة المؤمن مرتبطة بالخالق لفهم دورهم في الحياة والتحضير لما بعد الموت؛ هذه الفكرة مركزيّة في كل الحاضنات الدّينية المؤمّنة بعدم عبثيّة وجود الإنسان.

11.23 الفاروقي ينتقد بعض الاجتهادات المسيحية في جعل الخطيئة مركز اللاهوت المسيحي، خصوصاً مع الدور المناط بناسوت المسيح في حياة البشر؛ ونقد الفاروقي نقد إسلامي يختلف جذرياً مع تأليه المسيح، لكن الرؤية الإسلامية لعصيان آدم لا تختلف أخلاقياً عن الرؤية المسيحية، فالإشكال الذي يفرق هو ماهيّة التّكفير عن ذنب الخطيئة والقربان الصّوري وضمان مغفرة الله، لكن التأمّل الموضوعي يرجع الجميع إلى حقيقة أن البشر في هذه الدنيا here and now بعد أن كان أبوهم وأمتهم في الجنّة، وأن العودة إلى ما قبل المعصية تقتضي التّطهر من الذّنوب التي يرتكبها الإنسان، بعد أن كشف الله ضعفه أمام الفتنة الأولى.

بمعنى آخر الحقيقة المؤلمة أنّنا هنا بعيداً عن اللجنة التي هي المآل السّعيد، والطّريق إليها يمرّ بمسالك وعرة تُبنى خريطتها من تشخيص الخطأ الأول والخطيئة الكبرى: هل يلتقي البشر في تلك المسالك؟

12.23 الفاروقي ينتقد بعض التيارات المسيحية والفلسفية التي تكاد تحكم أن الشر في الإنسان هو الأصل أو الغالب خصوصاً بعد السقوط، لكن من الضروري أيضاً البحث في تراثنا وقبل ذلك في قرآننا في مسألة احصاء الخيرية:

1. أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
2. أَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ
3. أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
4. أَكْثَرُهُمْ الْكَافِرُونَ
5. أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ
6. أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ
7. أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
8. أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ
9. لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ
10. مَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً
11. أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ
12. مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ
13. وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
14. فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
15. وَإِنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ
16. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ
17. وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ
18. فَأَلْبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً
19. أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً

تفسير الآيات التي ورد فيها ذم الأكثرية ضروري لمعرفة أبعاد التوصيفات، لكن المؤكد أن هذا الذم يدفع المؤمن للفرار بدنيته من أي مسلك يصنّفه في طائفة المذمومين، وتلك هي المعركة الفصل التي يخوضها كل مؤمن، وكلّ راجع إلى فطرة الله في كل لحظات حياته على الأرض.

13.23 يبدو الفاروقي انتقائياً في اختيار معالم في تاريخ المسيحية مع توجيهها لخدمة رؤيته الإسلامية، وهذا يسحب البحث من تاريخ الأديان إلى الفكر الإسلامي بمختلف أجنحته التي من بينها نقد الآخر وفق الرؤية الإسلامية (أبو الحسن العامري نموذجاً).

اللبنة الورشية رقم 24

في التأسيس الفلسفي لأبعاد الخطيئة في الحاضنة المسيحية يمكن البحث في: صراع الخير والشر في الزرادشتية والمانوية، وتأثير ذلك على المسيحية باعتبار بعض الروافد والمشارب التي اسعفت المفكر المسيحي في صناعة عمارة فلسفته الأخلاقية.

1.24 السؤال الذي يركز عليه الفاروقي لماذا جعلت المسيحية الخطيئة أو الشر أمراً أزلياً يعود إلى الله: الزرادشتية والمانوية في مسألة تفسير وجود الشر يركز على تنزيه الله العادل عن فعل الشر أو السماح به واعتماد فكرة وجود إله للخير وإله للشر تكاد تكون رجع صدى مع تحريف مركزي لوجود الشيطان وقدرته على التأثير على البشر: في الإسلام توعّد الشيطان متحدياً.

2.24 القرآن ومسؤولية الشيطان:

سورة النساء: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۖ ﴿١١٨﴾ وَلَا يُلْقِيَهُمْ وَلَا يُنَبِّئُهُمْ وَلَا مَرَدَّهُمْ فَلَيُبَيِّنَنَّ أَذَاتَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْيَةَ هُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۖ ﴿١١٩﴾﴾ (119)

سورة الاعراف: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۖ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۖ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنبِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۖ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مُّذْخَرًا لِّمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ۖ ﴿١٨﴾﴾

طبعا من الضروري العودة إلى التفاسير التي تشير إلى زوايا عديدة في تحليل التفاصيل والأبعاد كما أن المدارس الكلامية "غرقت" في تفسير أفقي...

3.24 يعود الفاروقي إلى آثار المنفى في التاريخ اليهودي وعقدة التفسير اللاهوتي لتفاصيل هذا الابتلاء، وجهود بعض القادة التّوحيين اليهود لجعل السؤال في نطاق سلوك البشر وذنوبهم، وليس في البحث عن حكمة الله والتّنزيل العقدي على عذابات اليهود.

والفاروقي يرى أن هذه الاشكالات عبرت إلى الفضاء المسيحي، فأزمة الفكر الأخلاقي والإشكال المنهجي أن الفاروقي هنا أيضا يعتمد نصوصا من الكتاب المقدس دون المرور بالتفسير اليهودية والمسيحية، وسبق إيراد نماذج من آيات القرآن الكريم لا تختلف في المعنى العميق مع "قدريّة" الابتلاء بالشّيطان، كما أن المقارنة بين علم اللاهوت وعلم الكلام في بعض جزئيات الموضوع ضرورية لفهم الاتفاقات والاختلافات وحولتها ومرجعيتها.

4.24 يتابع الفاروقي أزمات الفكر المسيحي في مجال بناء عمران الأخلاق الفردية معتبرا أن المصدر الكتابي لا يسعف من يريد ذلك ولكن الفاروقي نفسه يعترف بوجود اجتهادات للتأصيل للأخلاق الفرديّة مع بولس والقدّيس أغسطين وغيرهما من القدامى والمعاصرين.

5.24 يضع الفاروقي مصطلح "مملكة الله" كعنوان لأزمة تنزيل العقائد المسيحية إلى مجال الأخلاق بين المذاهب المسيحية وفروعها، وهو موضوع جدّ هام لأن المذاهب والمدارس المسيحية استجابت لهذا التحدي كما انكب بعض العلماء أيضا على هذه الورشة: ماكس ويبر والربط بين السلوك الأخلاقي البروتستانتي ونشأة الرأسمالية مثلا.

6.24 الفاروقي يدافع عن المسيح عليه السلام حسب الرؤية الإسلامية ويبحث ضمينا عما يقف حائلا في وجه المسيحيين لتستقبل أرواحهم وعقولهم نور الرّسول محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته التي من بين ركائزها الإيمانية الاعتراف بكل الأنبياء رسلا للتّوحيد الإسلامي، ومن بينهم المسيح عليه السلام.

7.24 التجارب الواقعية في حوار الأديان بيّنت استحالة الاتفاق على تفاصيل العقائد وإن كان الاعتراف بوجود الله عزوجل مساحة مركزيّة، لكنها ملأى بالغام ناسفة لأي توافق: التّوحيد الإسلامي والتّوحيد الثالوثي المسيحي مثلا.

لكن مساحات تنزيل محبة الله في مجال معاملة الآخر والمختلف عقديّا موجودة ولكنها أيضا بحاجة إلى حدود مدروسة حتى لا تتسرّب العقائد في غفلة من العقول. (حيل المؤنجلين المنصرين).

8.24 يرى الفاروقي أن المسيحيين بحاجة إلى العودة إلى المسيح الحقيقي والابتعاد عن التّراث الذي حجب الرؤية الصّحيحة والاستيعاب الصحيح لرسالة المسيح، ويرى الفاروقي أن ذلك عين ما فعله المسلمون بالعودة إلى إسلام الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا اعتراف صريح منه أن ما حدث مع بعض تيارات المسيحية التي انحرفت عن جادة المسيحية هو سنّة كونيّة في تعرّض الأديان بما فيها الإسلام إلى أفكار فيروسات تحتاج إلى علم دقيق للوقاية والمواجهة.

9.24 إسماعيل الفاروقي اعتمد على قراءة خاصّة للتّراث المسيحي، تتبع بعض مفاصله لتفسير أزمة الأخلاق المسيحية التي اعترف بها علماء المسيحية ورجالها وقدّموا مشاريع الحلول وخطواته، ومادامت آفات النّفس البشريّة تقريبا واحدة والخلفة واحدة والعدوّ واحد فإمكان إثبات بالأدلة وحدة الخلق ووحدة الخالق الذي هو أعلم بما خلق، والمسلمون مطالبون باستيعاب ما سبقهم من نبوّات وتجارب ورصد الإيجابي المتفق مع الرسالة الخاتمة وتبيان ثقافت ما يعيق تحقيقها أي تحقيق خلاص البشرية: مهمّة صعبة ولكنها فرض عين.

اللجنة الورشية رقم 25 مصادر الفاروقي المنهجية يجب البحث عنها في أروقة الجامعات والمراكز التي درّس فيها والشخصيات العلميّة التي احتك بها، وعموما البيئة العلميّة التي نضج فيها. الأجوبة المحتملة الأقرب إلى الموضوعية.

1.25 الكثير من تكرار نفس الأحكام من التّجليل عن كتابات المسلمين حول إسهامات إسماعيل الفاروقي في دراسة الأديان كشعلة مضيئة لما كتب في الدائرة الإسلامية عبر تاريخ الإسلام من غير تتبّع حقيقي لذلك، سواء في الدوائر الإسلامية ذاتها (المكتبة الإسلامية لا تخلو من دراسات معاصرة للأديان بأقلام علماء وباحثين مسلمين) أو في الدوائر العالمية وخصوصا في تلك التي تردّد عليها الفاروقي طالبا وباحثا وأستاذا: الاعتراف العلمي. (مؤشر البحث عبر المواقع المتخصصة مهم جدا).

2.25 لاختصار البحث لم يكن هناك أمن من دراسة طالب درس في نفس أجواء الفاروقي وأشرف عليه الفاروقي وهو محمد خليفة حسن.

3.25 محمد خليفة حسن تخرّج من جامعة القاهرة قسم اللّغات الشرقيّة - فرع اللّغات السّامية القديمة: تخصّص اللّغة الحبشيّة، وحصل على درجة الماجستير رسالة موضوعها: النص الأثيوبي في تاريخ أثيوبيا وحصل في عام 1969م على منحة دراسيّة في مقارنة الأديان مقدّمة من جامعة

تيمبل الأمريكية بولاية بنسلفانيا (Temple University جامعة الفاروقي)، وحصل منها على درجة الماجستير في الأديان ودكتوراه الفلسفة في الأديان (تقاطع مع مسار الفاروقي) في موضوع (الإسهام اليهودي الإسلامي في الدراسة العلميّة للدين في العصر الوسيط: دراسة في منهج سعديا الفيومي ومحمد الشهرستاني)، بإشراف إسماعيل راجي الفاروقي أستاذ الدراسات الإسلامية ومقارنة الأديان بالجامعة نفسها.

درس محمد خليفة حسن في الولايات المتحدة عددًا من المساقات المتعلقة بالأديان، سواء أكانت من الديانات التوحيدية أو الهندية أو حتى الديانات البدائية، كما درس علاقة الدين بالأدب. فقد التحق بكلية دورسي كوليج بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي كلية يهودية متخصصة في الدراسات اليهودية والسامية، (قارن بشيبه هذا مع الفاروقي) حيث درس فيها الديانة اليهودية على أيد كبار المتخصصين الأجانب.

تعرف على بعض المستشرقين الأمريكيين والأوروبيين.

4.25 محمد خليفة حسن من خلال دراسته: جهود إسماعيل الفاروقي في علم تاريخ الأديان المتاحة على الشبكة يتتبع صدى المناهج الحديثة في جهود الفاروقي.

5.25 يرى احمّد خليفة حسن: الفاروقي انخرط في عملية التأسيس المنهجي لعلم تاريخ الأديان على المستوى الدولي من خلال مشاركته مجموعة المؤسسين لعلم تاريخ الأديان في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد تولى الفاروقي رئاسة المحور الخاص بالإسلام في الجمعيات العلمية المتخصصة مثل جمعية تاريخ الأديان بجامعة شيكاغو التي كان يرأسها مرسيا الياذة، وكذلك أكاديمية الدراسة العلمية للدين. (عندما يتخصص مسلم في الإسلام هذا إحالة إلى الفكر الإسلامي بمختلف أجنحته). السؤال المنطقي هنا هو لما شهرة وكتب مرسيا الياذة، ومن كان في دائرة الفاروقي أكبر من شهرة الفاروقي ؟ (السير الذاتية والمؤلفات مؤثران مهمان هنا).

6.25 يفصل الدكتور محمد خليفة حسن في فكرته بالإشارة إلى مشاركة الفاروقي أعمال الجمعيتين العلميتين مشاركة كاملة وجادة، من خلال الأبحاث المنهجية والإشراف على محور الإسلام في المؤتمرات والتدوات والدوريات الخاصة بتاريخ الأديان، وكذلك المشاركة في جامعة تمبل التي كان يعمل بها في تنمية علم تاريخ الأديان وفي التدريس والإشراف على عدد من الطلاب المسلمين وغير المسلمين:

السؤال الملح هنا هل مخرجات هذه المساهمة والاشراف متوافقة مع النظرة الغربية الاستشراقية أم مع حقيقة الإسلام خصوصا مع التمويل الغربي ؟ (فرضية أن حسن خليفة من موقعه قدر على الإجابة على الكثير من التساؤلات لكن ...)

اللبنة الورشية رقم 26

هل أسس الفاروقي لتيار مستقل في دراسة الإسلام في الولايات المتحدة والغرب
الأجوبة المحتملة:

1.26 لا يمكن أن يدعي أحد امتلاك الإجابة النهائية وسواء كان المجتهد من مريدي إسماعيل الفاروقي أو من خصومه، فإن مثل هذا السؤال يجب التحضير للإجابة عنه برسم خرائط مناهج دراسة الأديان وتطورها، سواء في العالم الغربي المسيطر اليوم، أو في ثقافات أخرى، وعلى امتداد زمني كاف للسماح بتعميم حكم أولي.

2.26 الجواب أيضا يكون بتتبع رجع الصدى لما يعتقد إسماعيل الفاروقي يقينا في الإسلام ويكون أيضا بمعرفة ما هي مؤلفاته التي تنشر في الفضاء الإسلامي وتلك التي تنشر في الفضاء الغربي وتلقي المتخصصين لها في الضفتين.

لأن متابعة رصد مؤلفات إسماعيل الفاروقي يضع أمام الباحث ظاهرة تكرار العناوين أو تكرار المضامين بعناوين مختلفة كما أن مشاريع إسماعيل الفاروقي في العالم الإسلامي ليست بالضرورة ضمن سيرته الذاتية كمتخصص في مقارنة الأديان وفق المناهج الحديثة: إسلامية المعرفة نموذجاً (مشروع دخل مخبر المراجعات من بعض مؤسسيه والمتخصصين).

3.26 يرى محمد خليفة حسن أن من بين تلاميذ الفاروقي: جون اسبيزيتو و جيمس الزغي، ولاشك أن المتابع لمؤلفات الشخصيتين سيتزدد بين التصنيف ضمن طائفة الاستشراق بنوعيه: المتحامل والمتعاطف، وبين الحبير الغربي بشؤون الوطن العربي من خلفية محلية. (مستشارو الهيئات الحكومية وغير الحكومية).

4.26 يرى أيضا محمد خليفة حسن أن الفاروقي من خلال طلبة مسلمين في جامعته، أسس لمدرسة إسلامية جديدة في تاريخ الأديان أحيا بهم العلم الإسلامي القديم في هذا المجال.

أطروحة محمد خليفة حسن كانت دراسة بين اليهودي سعديا الفيومي والمسلم الشهرستاني:

ربما هنا إكراه ما في الربط بين شخصيتين من خلفيتين مختلفتين المستفيد الأكبر هو المكون اليهودي في الفضاء الإسلامي.

ربما محمد خليفة حسن قدّم اشكالية ضمن التأسيس لعلم مقارنة الأديان داخل الثقافة الإسلامية بمختلف تنوعاتها الدينية أساسا إيماننا بالتلاقح المنهجي ؟؟؟ (ماذا عن الدراسات حول الشخصيتين في الفضاء الإسلامي وغير الإسلامي قبل دراسة حسن خليفة).

5.26 يركّز محمد خليفة حسن على مشاركة الفاروقي لعدد من أهم علماء تاريخ الأديان في القرن العشرين بالتأليف المشترك والمؤتمرات والندوات المشتركة والعضوية المشتركة في الجمعيات العلمية ويذكر الأسماء التالية: مرسيا الياده و جوزيف كيتاجورا و وولفرد كانتويل سميث وغيرهم.

6.26 محمد خليفة يكتب الأسماء باللغة العربية فقط وهو ما يجعل البحث عن مؤلفات بعضهم (بعضهم يذكرهم باللقب أو الاسم فقط) وسيرهم يمر عبر اجتهادات في الترجمة (الأمانة أغلب ترجمات ميسرة) علما بأن الفضاء الإسلامي يعجّ بأغرب الترجمات لأسماء الأعلام، ولكن التجربة مهمة لأن البحث عن تلك الأسماء باللغة العربية يوصل إلى مثلث برمودا.

7.26 للباحثين المواظبين ها هي الأسماء (بعد عناء ملاحقتها) في حقيقتها وبعضهم يصنف ضمن المستشرقين:

1. Joseph Mitsuo Kitagawa

2. Wilfred Cantwell Smith

3. Leonard J. Swidler

4. Charles Chaillé-Long

5. Charles Adams

6. Leo Joachim Frachtenberg

8.26 متابعة تنوع مؤلفات الأسماء السابقة وبعض كتبهم متاحة، وبعضها مترجم إلى اللغة العربية. ستعطي تلك المتابعة فرصة رسم خريطة أولية للأفكار التي كانت تحيط بالفاروقي مع هذه الطائفة من الأسماء المرجعية في تخصصها.

9.26 يلاحظ محمد خليفة أن الفاروقي خلال فترة عمله في جامعة تمبل أسهم في تحويل قسم الدين إلى مركز لتاريخ الأديان، وهذا اجتهاد هام جدا. يرى محمد خليفة أن اسماعيل الفاروقي كان يملك الأسباب والآليات العلمية لفرض هذا التغيير.

السؤال الملح هنا: ما هي المفردات التي تدرس ووفق أية رؤية وتحت أي سقف من الحرية العلمية ؟

اللجنة الورشية رقم 27

الفاروقي أَلّف في الفكر الإسلامي وأسّس مشروع أطلس الحضارة الإسلامية: هل هذان الجهدان وغيرهما كانوا موجّهين للمسلمين أو المتعاطفين معهم أم لخواص المهتمين أو لعموم القراء، وفي جميع الاحتمالات هناك منهجية ومصطلحات ولغة خاصة. وهل الفاروقي عندما يكتب في غير الإسلام ضمن مخرجات أدبيات جامعته يكتب بناء على الاختيارات المنهجية المتفق عليها بين المختصين أم أنّه يسقط قناعاته على ما يكتب، وأيضا في كل الحالات هناك تجارب خاصة.

نوافذ محتملة للإجابة مستثمرة لدراسة محمد خليفة حسن باعتباره إلى الآن من توفرت لديه شروط معاشية مباشرة لبيئة إسماعيل الفاروقي.

1.27 شمول قسم الدين في جامعة تمبل على نخبة مميزة من مؤرخي الأديان وتغطية القسم لكل الأديان.

2.27 قيام الفاروقي بتدريس أديان العالم مع التركيز على الديانات التوحيدية بتعريف مبهم للتوحيد هنا، وعدم وضوح معالم المقارنة بين الأديان الثلاثة: هل الجامعة تبنت المعتقد الإسلامي لمصطلح التوحيد، ويمكن إضافة رافد لتحليل هذه الجزئية بإصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي لمؤلفات عن ابن تيمية قدمته كمشروع مرجعي غير قابل للنقد ككتاب طه جابر العلواني عن إسلامية المعرفة عند ابن تيمية.

3.27 المساهمة في جهود قسم الدين بالجامعة في ارساء قواعد الحوار بين الأديان.

4.27 يتحدث حسن خليفة عن أجواء حوار الأديان والتسامح اللذين كانا يسودان الجامعة، ولابد من التذكير أن حوار الأديان من أعقد محاور الجدل الديني، فكيف يكون الحوار في باب الألوهية: مثلا بين من يعتقد بألوهية عيسى عليه السلام ومن يعتقد بأنه رسول فقط.

وكيف يكون الحوار بين من يعتقد أن الدعوة إلى دينه فرض عين ومن يعتقد أن دينه خاص بجماعته المميزين المختارين من الله، وأن من يريد اعتناقه أمامه رحلة شاقة ومعقدة مع استحضار لإشكالية تحديد هوية اليهودي؟

هناك دراسات رصينة في الفضاء الإسلامي عن حوار الأديان، واشكالياته تكاد تتفق تقريبا أن هناك طغيان أجندة طرف على جميع المتحاورين في أغلب الأحيان، وأحيانا لا يعدو الأمر لقاءات سطحية للتصوير دون أن يعني هذا غياب تجارب للتعاون بين اتباع الأديان والملحددين

واللأدريين في بعض الجهود المشتركة لخدمة الإنسان، ولكن في هذه الحالة الجهود فردية وليست باسم المؤسسات الرسمية التي تحسب كل ظهور لها بقانون صارم: محمد خليفة حسن يملك جزءا من الجواب فيما يتعلق بجامعة قبل.

5.27 يذكر أيضا شخصية محورية هي Leonard J. Swidler وهذا العالم الكاثوليكي من أب يهودي وأم كاثوليكية أمريكية، ويبدو مما هو متاح عنه أنه من نفس مدرسة hans kung أي الاعتراف بأن مجال الدفاع عن القيم الأخلاقية هو الوحيد المرن في حوار الأديان.

في المذهب الكاثوليكي (هناك تيار شديد من فريق حصرية الحق والخلاص: كارل بارث karl BARTH نموذجاً كما في الأديان الأخرى أيضا منظرين للاتجاه الحصري.)

6.27 يرى خليفة حسن أن الفاروقي أسس لقواعد الحوار أيضا بين العالم الإسلامي وبقية العالم، ويشير إلى الحوار مع الفاتيكان، وهنا بالضبط يجب التوقف عند موقف الفاتيكان من العالم الإسلامي بداية من مخرجات مجمع فاتيكان 2 ومقارنته مع الموقف من اليهود، وهنالك ضرورة لمراجعة فكرة حسن خليفة بعد استعراض كل المؤسسات والشخصيات الإسلامية التي تحاورت مع الفاتيكان دون تنسيق بينها وأحيانا في تناقض مبدئي بينها..

7.27 يقول خليفة حسن أن الفاروقي تعمق في العلوم الاجتماعية والانسانية ومناهجها، ولكن معلوم أن التحليل الكمي من بين أهم مظاهر المناهج الحديثة التي استعارتها العلوم الاجتماعية من العلوم الأخرى، فأين تجسّد ذلك تطبيقياً، وربما أن ذلك كان في بعض ما نشره الفاروقي في المجالات المتخصصة والتي لم تتح للباحثين من الضفة الإسلامية الاطلاع عليها، وأهمية التحليل الكمي عندما تحترم حدوده أنه يعلم الباحث كيف يلاحظ النسب والتكرار، والأهمية بعيدا عن الثثرة والتعبيرات التائهة مثل صيغ: ربما أكثر أو أهم.

8.27 ويرى أيضا محمد خليفة حسن أن الفاروقي تعمق أيضا في الفلسفة والمنطق مما ساعده في الفهم المنهجي لعلم تاريخ الأديان وفلسفة الدين وفينومولوجيا الدين، والدراسات المهمة بعلاقة الدين بالأدب والفن: هناك السؤال المركزي لكل منهج قواعد وأدوات تشكّل هويته وأي تعديل لعنصر من عناصره تفقده بصمته، فهل كان الفاروقي تابعا لهذه المناهج التي لم يؤسسها أم "انخرّف" وحاد بها إلى وجهة إسلامية، وبالتالي أصبح أمام مناهج مشوهة أو ارهاصات لمنهج جديد مبني على نقد منهج قائم، وللإجابة الموضوعية لابد من تفكيك منهجي لكتابات إسماعيل

الفاروقي ومقارنتها الدقيقة بأدوات وآليات المناهج المعروفة، وهنا أيضا محمد خليفة حسن يبدو أنه يملك الإجابة باعتباره شاهد عيان لهذه المعركة المنهجية ولكنه لا يقول كل شيء !!

اللبنة الورشية رقم 28

يتحدث خليفة حسن عن تمكن إسماعيل الفاروقي من علوم مهمة ساعدته في تحرير مشاريعه في الفكر الإسلامي والأديان، ويذكر جغرافيا الأديان. النوافذ المحتملة للإجابة:

1.28 خليفة حسن يضع اسم الفاروقي في قائمة الأعلام الذين أسسوا للدراسات الدينية في القرن العشرين، وبالمبحث عن اسهاماتهم وعلاقاتها بخلفياتهم الدينية والعلمية يتضح الجهد المبذول للاستقلال بالدراسات الدينية بعيدا عن الانتماءات الدينية الخاصة، ويربط ذلك مع دراسات الفاروقي في كليات ومراكز تابعة لأديان بعينها أو مؤسسات قامت على الانتماء الديني يعد هذا السؤال ملحا: الفاروقي كان معترزا بانتمائه الديني ولكنه منتمي لمؤسسات بخلفيات مختلفة عن اعتقاداته، فكيف كانت العلاقة العلمية والدينية والمنهجية مع هذه الإكراهات وإلى أي مدى سمحت الانتماءات اللادينية لبعض المؤسسين بعبور مشروع إسماعيل الفاروقي من ضفة إلى ضفة ومحاولة إرساء دراسة الإسلام، وبشيء من الحذر المشروع هل كانت دراسة الإسلام وفق المنظور الاستشراقي أم ضمن منظور إسلام lite لا تُبرز خصائصه العميقة ويكتفى بالجوانب الحضارية المادية التي لا تثير الأسئلة العقيدية المركزية.

2.28 اشكالية جغرافية الدين والجغرافية الدينية مع استحضر أهمية التفريق بينهما خصوصا مع الفرضيات الغربية التي يضعها الاستشراق الجديد، في غياب اهتمام إسلامي بنسب أسسها بالأدلة المادية: الحفريات المتقدمة في تضاريس تاريخ الإسلام أساسا.

من الأمثلة فرضية Patricia Crone و Michael Allan Cook⁽⁷⁾

3.28 يحتاج الدارس إلى تتبع مكانة الفاروقي في خريطة علماء الأديان في الولايات المتحدة والغرب، وخليفة حسن بإمكانه إعطاء الإجابة الأقرب إلى الموضوعية للاعتبارات السابق ذكرها.

4.28 التجربة الدينية من أهم محاور دراسة الأديان، وقد قاربها الباحثون من خلفيات مختلفة من الفلسفة إلى علوم بعيدة كعلم الأعصاب. (ال neurothéologie مثلا) ما هو الإسهام المتفرد للفاروقي هناك؟

5.28 في دراسة التجربة الدينية هناك تياران رئيسيان: تيار مؤمن بالله أو القوة العليا، وبالتالي يتم تحليل التجربة الدينية بهذه الخلفية، وهناك تيار غير مؤمن أو لا أدري، ويمكن هنا تتبع تحليل البراغماتية خصوصا مع وليم جيمس الذي ركّز على البعد النفسي -المصلحي في الدين عموما، أو تحليل ماكس وير الذي رأى أن علاقة البروتستانتية بالرأسمالية له مركزه في مذهب الكالفانية الذي يركز على إنقاذ العقل والجسد في العمل ضمن شروط الفضيلة وتفادي الأسئلة العقدية واللاهوتية المعقدة، مما يؤدي إلى تراكم الثروة، ومع شروط الفضيلة يتم إعادة تدوير الثروة بعيدا عن الإسراف والشّهوات: ما هو منهج الفاروقي لتحليل التجربة الدينية والمركزية منها: علاقة العابد بالمعبود في خريطة المناهج التي وصلت إليها الدراسات الدينية زمن عمله اصطلاحا ومنهجيا.

6.28 محاولة تقديم الإسلام بأن له طريق متفرد في تحليل جوهر التجربة الدينية لا يعدو تفصيلا في التيار المؤمن: طبعا الخلافات جذرية في باب من هو المعبود؟

7.28 مركز الإسلام هو التوحيد فهل الفقه هو الذي يفعل هذا المبدأ ؟ هنا الاشكال عميق جدا في تحديد خريطة مسار تنزيل التوحيد في حياة المؤمن: ماهي الحطة الأهم ؟
عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: " قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا، لا أسأل عنه أحدا بعدك، وفي حديث أبي أسامة: غيرك، قال: ((قل: آمنتُ بالله، فاستقم))"؛ رواه مسلم.

8.28 في تاريخ الأديان هناك مصطلحات فلسفية لاهوتية في دراسة الألوهية
monism /dualism/ pluralisme/holisme/monothéisme/polythéisme /
كما أن المباحث الكلامية واللاهوتية في الأديان السماوية على سبيل المثال أنتجت تراثا ضخما فيه الاختلافات التي تتطرق أحيانا إلى التكفير المتبادل بين مذاهب وطوائف واتجاهات منتمية إلى نفس الدين.

اللجنة الورشية رقم 29 في دراسة خليفة حسن (سبق الإشارة إليها منذ الجزء الأول) وضع السؤال الاشكالية واضح المعالم التالي:

1.29 يتطلب الامر الكشف عن جهود إسماعيل الفاروقي في مجال دراسة الدين والأديان وموقفه بين مؤرخي الأديان في القرن العشرين، وأيضا موقفه بين مؤرخي الأديان المسلمين في العصر الحديث، وتوضيح إسهامه في وضع منهج جديد في دراسة الأديان، ومحمد خليفة حسن لا يتوسع

في بعض الجزئيات لأسباب غالبا غير علمية، ومراعاة لحرصه على صورة معينة لأستاذه رغم أنه الوحيد الذي يملك مفاتيح الإجابة عن أسئلة تساعد الباحثين .

2.29 على الدارس جمع ما قاله خليفة حسن واستيعابه وترتيبه حسب أسماء الأعلام إن أراد العودة إليها في بحوث مستقلة.

3.29 بين خليفة حسن أن علم تاريخ الأديان اهتم كثيرا بموضوع التجربة الدينية، في محاولة علمية جادة للتعرف إلى هذه التجربة واتخاذها قاعدة في فهم الدين، والتعرف إلى التجارب الدينية المختلفة التي استوعبتها الأديان المختلفة، وتحديد المشترك في هذه التجربة بين الأديان، والتعرف إلى ما يخص كل دين على حده في هذه التجربة وعد المشترك منها، ومن ثم مقارنتها بتجارب أخرى تحقق نفس الهدف من الاستجابة إلى أشواق خاصة للإنسان. واضح معالم دراسة التجربة الدينية في خصائصها العابرة للأديان ودراساتها ضمن الخصوصيات في كل دين، فهناك عام وهناك خاص واقترح العلماء آليات منهجية لتنفيذ هذه المقارنتين. هل اندمج الفاروقي ضمن مشروع المقارنتين: هل اقترح أفق ومقاربة مختلفين وماذا عن المناهج السائدة ؟

4.29 يرى خليفة حسن أن إسماعيل الفاروقي انشغل بموضوع التجربة الدينية على مستوى المنهج في علم تاريخ الأديان وعلى مستوى التطبيق على الإسلام، والفاروقي يقرّ حسب خليفة حسن بوجود جوهر في التجربة الدينية في الإسلام وهو قابل للمعرفة؛ السؤال الملح هنا: هل أنكر علماء الأديان وجود تجربة دينية في الإسلام، لها جوهر قابل للمعرفة، بمعنى ما هو الجديد الذي جاء به الفاروقي؟

5.29 يقترح الفاروقي اجابات عن الأسئلة المنهجية حول التجربة الدينية التي ولّدها علم تاريخ الأديان الحديث (غير الاسلامي)؟.

ويوضح أن الإسلام هو الدين يعني حصرية الحق، ويضيف أن التوحيد هو معرفة مركز هذا النظام الديني: الله بالإضافة إلى الواجبات والمندوبات والمكروهات والتي يسمى مجموعها الشريعة ومعرفتها هي الفقه: يلاحظ جليا أن الفاروقي هنا يتحدث عن خصوصيات التجربة الدينية في الإسلام وهي المقارنة الثانية في دراسة التجربة الدينية حيث الأولى مرتبطة بالخصائص العابرة للأديان.

السؤال المنهجي هنا: هل رؤية الفاروقي كمسلم لخصوصيات التجربة الدينية في الإسلام يشاركه فيها باحثون آخرون متخصصون في تاريخ الأديان ولكنهم من خلفيات غير إسلامية: ملحة أم لا أدري أم مرتبطة بدين من الأديان المعروفة ؟ رغم أن مدرسته في تاريخ الأديان ترى أن التدين فطري في الإنسان، فهل تنتمي رؤية الفاروقي للتجربة الدينية في الإسلام إلى هذه المدرسة أم أن كل مدارس تاريخ الأديان كعلم لا تستوعب خصائص التجربة الدينية في الإسلام ؟

يمكن الحديث عن الاستشراق ولكن حمولته التاريخية ستربك الدارسين، لذلك لابد من التدقيق أن الحديث عن باحثين في تاريخ ومقارنة الأديان..

6.29 يلح خليفة حسن إلى هذه الاشكالية عند حديثه عن كانتول سميث، ولكن اليوم مع الدراسات النقدية الواسعة للاستشراق في العالم الإسلامي ببيان العلمي منه والمتحامل، يمكن القول أن جزءا من التراث الاستشراقي الذي كتبه مستشرقون متنوعو الخلفيات الدينية والعلمية يمكن إدراجه ضمن مكتبة علماء أديان يدرسون الإسلام وفق مناهج علمانية أو غير إسلامية عموما.

7.29 من الأجزاء الهامة للغاية في دراسة خليفة حسن ما جاء تحت عنوان: تأثر الفاروقي بالمنهج في علم تاريخ الأديان الحديث. وتحت هذا العنوان بدا واضحا أن الدكتور يمشی على طريق ملغم... يقول: أفاد الفاروقي بلا شك من التطور المنهجي لعلم تاريخ الأديان في العصر الحديث، ويتضح هذا بشكل كبير في اعتماد الفاروقي على بعض النظريات التي سيطرت على التوجه المنهجي لهذا العلم على يد أبرز مؤسسيه.

8.29 يعرض خليفة حسن نقاطا محددة تساعد الباحث على موقعة جهود الفاروقي في خريطة اجتهادات علماء الأديان المعاصرين بموضوعية.

1.8.29 جمع الفاروقي بين منهجي "فان درليو" و"يواكيم فاخ" في كتاب أطلس الحضارة الإسلامية.

2.8.29 اعتمد الفاروقي في منهجه في هذا الكتاب على اهم نظريتين في علم تاريخ الاديان الحديث وهما: نظرية عالم الأديان فان در ليو عن الجوهر والمظهر ونظرية مؤرخ الأديان يواكيم فاخ عن الفكر والفعل والتعبير.

3.8.29 ينه خليفة حسن أن الفاروقي أقر في مقدمة الكتاب بأنه يمثل أول تطبيق للمنهج الفينومولوجي على الإسلام وحضارته بوصفه كلا

4.8.29 يضيف خليفة حسن أن إسماعيل الفاروقي استوعب كل الجهود التأسيسية الحديثة في علم تاريخ الأديان، وتابع التطور المنهجي لهذا العلم على يد أبرز علمائه مثل رودولف أوتو وبريد كرستنس وجرارد فان درليو و يواكيم فاخ و مرسيا الياده (ضرورة عودة الباحثين إلى كل علم من هؤلاء تعريفاً وبحثاً وقبلها كتابة صحيحة للأسماء ومحاولة الإجابة الدقيقة ماذا أضافه الفاروقي).

5.8.29 يرى خليفة حسن أن إسماعيل الفاروقي أضاف إلى هذا التطور البعد الإسلامي الذي كان غائباً لدى هؤلاء العلماء المؤسسين.

السؤال المركزي هنا لا بد من التوقف الصلب مع ملاحظة: الآليات المنهجية لدراسة الأديان تشبه القوانين التي تنطبق على كل الأديان، وإذا ثمن دور الفاروقي في التذكير بخصوصيات الإسلام فإن كل ممثلي الأديان لديهم ما يختلفون به عن غيرهم: فهل إضافة الفاروقي في الآليات المنهجية أو في تنزيل تلك الآليات على مناسبات في الإسلام؟

اللبنة الورشية رقم 30

التذكير بالمرجعية الإسلامية في إطار جهود ترسيخ مناهج دراسة الأديان مسألة مجالها لا يضيف إلى صميم آليات المناهج التي تتعامل مع الأديان في الشروط الحيادية على مسافة واحدة من كل المعتقدات، كما أن في عالم دراسة الأديان هناك كتلتان متقابلتان: كتلة المؤمنين بالله أو رب للكون خلقه من غير عبث، وهذه الكتلة تستوعب الإسلام ومعتقدات أخرى مع تأكيد وجود اختلافات جوهرية في خصائص الله أو الخالق أو الرب، وهناك كتلة النافية لوجود إله أو رب أو خالق للكون، وفي هذه الكتلة أيضاً تنوع كبير في التفاصيل حول الإجابات عن الأسئلة الأولية لتفسير الكون والحياة والموت وغيرها من أسئلة الإنسان الحي، أما أن الإسلام هو صاحب رسالة متميزة فهذا مجاله فلسفة الاستخلاف والدعوة بالتي هي أحسن.

نجد خليفة حسن يضيف اسمين للفاروقي في مسعاه لتسجيل حضور الإسلام: فضل الرحمان وشارل آدمز مصرّاً على تميز الفاروقي بحسّه الديني، وهذا يعدّ تميّزاً أخلاقياً وليس منهجياً وليس له من أثر على العمل العلمي إلا بمقدار ما يضيف إلى التمكن الفعلي من أدوات العلم ومناهجه.

منافذ محتملة للإجابات:

1.30 فضل الرحمان Fazlur Rahman Malik⁽⁸⁾ مفكر باكستاني له اجتهادات خاصة لم يشفع له قرينه من رأس النظام السياسي في تجنب رفض مؤسسات وشخصيات إسلامية لما يقدمه من حلول، لما صنفه البعض تجديدا للفكر الإسلامي.

دّرس Fazlur Rahman Malik (تيسيرا لمن التعمق في انتاجه يجب كتابة الاسم كما هو متداول باعتباره يكتب بالانجليزية) في نفس جامعة الفاروقي ويصنف في التيار الاصلاحى (مصطلح غير دقيق) الإسلامى الليبرالى لذلك ربما أضاف خليفة حسن تركيته لعقيدة الفاروقي مع ذكر الاسمين علما أن هناك دراسات نقدية لمشروع فضل الرحمان الفكرى الذى ركز على الأخلاق القرآنية واعتبرها الجسر المركزى بين العقيدة والشريعة، وربط بين الفلسفة وعلم الكلام، معتبرا ذلك المشروع الأهم في الفكر الإسلامى هو النظام المعرفى، ولا بد هنا من التذكير بكتب الفاروقي عن إسلامية المعرفة والأخلاق المسيحية وجهوده في باكستان والبنغلاديش وماليزيا في إقامة بعض مشاريع التعليم. (الاصلاح عبر رأس السلطة دون اعتبار للبيئة).

2.30 فضل الرحمان ابن البيئة الهندية الباكستانية التي لها خصوصيات، تحتاج إلى تدقيق متابعتها من تجربة أحمد خان ونشأة القرآنيين ووجود إسلام هندي كشف بعض غرائب الشعبي منه الدكتور أحمد شلبي، الذي أقام في الهند وخبر اشكال تدين المسلمين هناك.

3.30 وجود أستاذين مسلمين في نفس الجامعة وفي نفس المحيط كل واحد منهما له رؤيته ومشروعه، كيف يتلقاه متخصصو تاريخ الأديان الذين يريدون وضع خريطة مفاهيمية مثلا للإسلام؟

4.30 في الغرب المستشرقون وال islamologues لهم المصداقية العلمية في الحديث عن الإسلام بتحفظ عقدي صارم) ما لم تتواطأ النوايا السيئة لتقديم صورة كاريكاتورية عنه تسقط العلم المزيف ولا تصيب الإسلام الناصع بخدش، والسؤال الملح هنا: ماهي الرؤية المعتمدة عند دارسي الإسلام مع تناقض رؤى المفكرين المسلمين المتخصصين: الفاروقي وفضل الرحمان نموذجاً+الرؤية الاستشراقية ؟

5.30 شارلز أدامس استفاد من منحة من مؤسسة فورد لدراسة الإسلام في باكستان، وهو أيضا زميل الفاروقي، وأسس شارلز أدامس مؤسسة لدراسة الإسلام وفق أي منظور؟ (له علاقة بمشروع

وائل حلاق).⁽⁹⁾ ولكن مساره وتنقلاته في العالم الإسلامي أكثر قربا من الواقع من بعض متخصصي الإسلام من مسلمين وعرب.

6.30 يقول خليفة حسن أن الفاروقي أعاد تقديم المنجز الإسلامي في إطار منهجي حديث، جامعا بين المنهجية الإسلامية الموروثة والمنهجية الغربية الحديثة المكتسبة، ليغدو بحق مؤسس تاريخ الأديان عند المسلمين في العصر الحديث ا.هـ. هذا التصريح واسع جدا وفيه عبارات تحتاج إلى تحليل متريث لمن يريد أن يتبناه، والأمر له علاقة بالتركبة المطلقة وبصرعات شرعية من أسس: الأمر حدث بأسلوب مخيف بين مؤسسي مشروع إسلامية المعرفة الذي يعتبر البعض الفاروقي مؤسسه، فقد قال سيد محمد نقيب العطاس إنه أول من ابتكر مصطلح أسلمة المعرفة، وتمت سرقة منه. كما أن سيد حسين نصر لمح في عدد من كتاباته أنه صاحب الفكرة الأولى.

7.30 السؤال الخالص والمخلص هل ما قاله خليفة حسن موجه للمسلمين العاطفيين والمتعاطفين، أو إلى المتخصصين من أية خلفية كانوا والذين يحتاجون إلى كلام دقيق بعيدا عن الاحتفالية والتدفق العواطف. والسؤال الفرعي: هل اتفق علماء المسلمين المتخصصين في تعيين المؤسس الأول لدراسة الأديان تاريخيا ومن أعاد تأسيسه وفق الشروط العلمية المعاصرة؟ في السلف هناك من قال أبو عيسى الوراق: أين كتبه وما عقيدته؟

في الخلف هناك من قال الشيخ أبو زهرة أو الشيخ دراز فكلاهما يملك شرعية الانتماء إلى تيار العلماء المعاصرين الذين قربوا العلوم الإسلامية للدارسين بعيدا عن غربة المصطلحات والتعبيرات المتفاخرة المجمععة بالمهارة بالبهارات المضرة بالتفكير السليم، وكانوا واعين بفراغ مكتبة دراسات الأديان وفق القواعد العلمية في الفضاء الإسلامي مع إضافة التجربة الأوروبية للشيخ دراز واحتكاك الشيخ أبي زهرة بتراث المستشرقين..

اللبنة الورشية رقم 31

وضح Charles Joseph Adams وهو زميل الفاروقي. حسب ما نقله خليفة حسن أن كثيرا من النظريات التي نشأت مع الجهود العلمية الحديثة فضلا عن تعقيدها لمسألة فهم الدين تولّد معها إمكانية تقديم وسائل تفسيرية للمادة الإسلامية، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه النظريات نادرا ما تمّ تطبيقها من أجل فهم الإسلام وشرحه

النوافذ المحتملة للإجابة:

1.31 شارك Charles Joseph Adams في الحرب العالمية الثانية في جيش بلاده قاطعا دراسته التي سيستأنفها بعد الحرب: الخلفية هذه مهمة بربطها بالدور السياسي والعسكري والفكري الذي وضعته الولايات المتحدة لريادة العالم: تحالف الفكري والعلمي والسياسي والعسكري لخدمة المشروع.

2.31 تخصص Charles Joseph Adams في الإسلام يقتضي الالتفات إلى دراسة الاستشراق الأمريكي بوجهه الكلاسيكي ووجهه الجديد مع النظريات "الجذرية" في دراسة الإسلام، ومع اتجاهات دراسات الأقاليم area studies ومراكز البحث think tank التي تختمر فيها ملفات صناعة القرارات السياسية الكبرى وتحليل التحالف اليهودي-المسيحي مع تيارات سياسية مؤثرة.

3.31 هل دراسات الفاروقي للإسلام جاءت في إطار الرد التطبيقي على ملاحظات Charles Joseph Adams

4.31 يرى Charles Joseph Adams أن سبب ما شخّصه يعود إلى عدة عناصر منها تركيز دارسي الإسلام على المقاربات الفيلولوجية والتاريخية.

5.31 تفسير اتجاهات دراسة الإسلام في المدارس الاستشراقية الكبرى، يجب البحث عنه في التأسيس والخلفيات الدينية والعلمية والأدوار المتنوعة حسب الحاجة وحسب المعطيات: المدرسة الأمريكية والمخضرم Bernard lewis: نموذجاً.

6.31 مقارنة الإسلام بمناهج علم الاجتماع والاحصاء وعلم النفس والعلوم السياسية وعلوم الاقتصاد وغيرها بل وحتى الطب والفنون يجعل الإسلام ديناً ككل الأديان، ولا يوصم بما يخرج عن قوانين ونواميس الأمم والشعوب، ولكن بعض الاتجاهات الحديثة تركز على التدين وليس على الدين، ومخرجات هذه البحوث لا توظف دائماً في الإطار المحايد بل أحياناً كثيرة لتبيان أن تدين المسلمين هو تشكيل لدين آخر قد يكون في تناقض صارخ مع أساسيات الدين "الرسمي" الحقيقية.

7.31 يقول خليفة حسن: يعد Gerardus (Gerard) van der Leeuw من أهم مؤرخي الأديان وعلماء ظاهريات الدين الذين تأثر الفاروقي بهم في درسه الحديث للإسلام، وفي تطبيقه لنظرية الجوهر والمظهر التي طورها Gerardus (Gerard) van der Leeuw والقارئ لأطلس الحضارة الإسلامية سيلاحظ بسهولة ومن فهرست المحتويات أن الفاروقي وزع دراسة الحضارة

الإسلامية بين الجوهر essence والمظهر... manifestation وقد اتخذ الفاروقي من كتاب:

Gerardus (Gerard) van der Leeuw الدين في الجوهر والمظهر

Religion in essence and manifestation. La religion dans son essence et ses manifestations: phénoménologie de la religion.

دليلا منهجيا لعمله في أطلس الحضارة الإسلامية وقد زاد على الحديث عن الأصل والشكل، ويعد كتاب Gerardus (Gerard) van der Leeuw عملا كلاسيكيا في فينومينولوجيا الدين، وكان مؤلفه مدركا للبعد الشخصي العميق للدين ولديه حساسية قوية تجاه البعدين الفني والثقافي للظاهرة الدينية. هذه الملاحظات لخليفة حسن لن تجدها على ما أعلم عند غيره، وهي ملاحظات دقيقة تشريحية تفكيكية من الدرجة الأولى، وهي أيضا تفتح أبواب التحليلات العلمية الموضوعية والمراجعات الحيادية لبعض المسلمات المنهجية غير المقيدة بأي تعليل علمي المتداولة بين دارسي الفاروقي.

8.31 يجب العودة أيضا إلى تعريف Gerardus (Gerard) van der Leeuw وخصائص منهجه هو رجل الفكر والعلم وحاصل على درجة ورتبة في الكنيسة الإصلاحية الهولندية، ومتخصص في علم اللاهوت وعلم المصريات، كتابه صدر في 1948 وقدم له Mircea Eliade في 1950 في مجلة تاريخ الأديان⁽¹⁰⁾

يعني: أحد مرجعيات الفاروقي متخصص في الإسلام الآسيوي والشيوعي والآخر في علم المصريات (مع ضرورة ربط مصر بالتاريخ اليهودي والمسيحي وحتى الفكر اليوناني مع مدرسة الاسكندرية) بالإضافة طبعا إلى اسهام المرجعيتين في التأسيس لمقاربات منهجية جديدة لدراسة الأديان.

اللبنة الورشية 32

يقول خليفة حسن: والحقيقة أننا نجد تشابها ملحوظا بين شخصيتي "فان در ليو" والفاروقي، ولا نعتقد أن يكون هناك تأثير على المستوى الشخصي، إذ أنهما لم يلتقيا بسبب البعد الزمني. فقد توفي "فان در ليو" في 1950، وكان الفاروقي في الثلاثين من عمره وقد وقع التأثير فكريا من خلال وضعية "فان در ليو" بصفته مؤسسا لعلم فينومينولوجيا الدين ومؤرخا عظيما للأديان ومنظرا لمفهومي الجوهر والمظهر في الدين والأديان، بوصفهما مفهومين أساسيين في فهم الدين في علم تاريخ الأديان المستند فلسفيا إلى علم الفينومينولوجيا الذي أنتج في النهاية فينومينولوجيا الدين. ١.هـ

مداخل للإجابة:

1.32 النسخة الألمانية من الكتاب التأسيسي صدرت عام 1933 ولابد من ربط هذا التاريخ الخطير بالارتباك الفكري والديني في ألمانيا ومحيطها القريب نتيجة تغييرات سياسية سيكون صداها عالميا و van der Leeuw عين وزيرا للتربية في هولنده بعد الحرب عن حزب العمال، وأثناء الحرب كان عضوا في حزب محافظ هو christian historical union وهو حزب بروتستانتى ديمقراطى. والانتقال السياسى هذا مع خلفية انتمائه للكنيسة الاصلاحية فرصة لدراسة علاقة السياسة بالدين، وعلاقة الالتزام الدينى بالمغالبة السياسية وتجربة الديمقراطية المسيحية في أوروبا، درس في السياسة الشرعية المسيحية وتتبع ثمار المزيج بين كل هذه المكونات تفتح ورشة كبيرة ومعقدة عن العناصر الكامنة في مشروع هذه الشخصية وتسربها لدى مريديه وأتباعه والمعجبين به نظير الفاروقى.

2.32 يلاحظ خليفة حسن أيضا أن: أهم وجوه التأثير والتشابه بينهما هو الوعي العميق للأبعاد الشخصية والفنية والثقافية للتجربة الدينية، ويتلمس ذلك في كتابي: الدين في الجوهر والمظهر وأطلس الحضارة الإسلامية وغني عن التذكير اللاحق هو الذي تأثر بالسابق. هذا القول لخليفة حسن يؤكد أن التأثير هو في اتجاه واحد من و van der Leeuw وتياره إلى الفاروقى، وتعبير أكثر دقة الفاروقى طبق منهج van der Leeuw في دراساته للإسلام ولم ينشأ منهجا مستقلا كما فعل van der Leeuw وتداعيات مثل هذه الملاحظات مهمة على ما جمعنا من دراسات إسلامية ترفع وتجزم أن الفاروقى أسس منهجا جديدا وهذا ليس ذنب الفاروقى رحمه الله.

3.32 نعم السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان لما لم يبين الفاروقى بوضوح أنه يطبق منهج van der Leeuw ويشير بدقة إلى الاحالات ؟ الإجابة البديهية هي أننا لا نعلم أصلا إن فعل ذلك في بعض كتبه أو مقالاته، لكن السائد بين مريديه بعيد عن الاثبات.

4.32 حتى van der Leeuw لم ينطلق من منطقة صفرية كما يوضح: خليفة حسن اعترف van der Leeuw بوضعية مستقلة لفينومينولوجيا الدين بوصفه علما مستقلا مع النظر إليه على أنه علم منشغل بالضرورة بالاهتمامات اللاهوتية وبالمعرفة المحبة loving knowledge فعالم الظاهرة الدينية يتمتع بلحظتين: اللحظة الإيمانية واللحظة المعرفية وهو إدراك أو معنى يجمع بين الذاتى والموضوعي أ.هـ

التأسيس لمنهج مقارنة الدين وعناصره لم يتوقف إلى اليوم، والقانون العلمي المنهجي يقتضي أن يبنى اللاحق على ما وصل إليه قطار الاجتهادات: تبنيًا وإضافة ونقداً ونقضا يعني أن تكون الدراسات وفق خارطة طريق تحترم العقل والعلم ووفق انضباط ينسق بين الاجتهادات ولا يسقفها أو يقيدها: في العالم الغربي منذ القرون الوسطى التي خضعت للتنظيم الكنسي الديني بسبيلاته (واجباياته على الأقل في منع انحراف العقل إلى منطقة الانفلات) إلى اليوم مع دخول الرقمية وتبعاتها على أشكال التفكير في القضايا الروحية والدينية هناك ضوابط منهجية للتأريخ والفاروقي منذ وطأت قدماء المدرسة المسيحية في طفولته الأولى إلى الجامعة الأمريكية في بيروت إلى جامعات الولايات المتحدة وكندا، أصبح ابنا لتلك البيئة ولم تؤثر فيه الاقامات المقتضبة (الأقرب إلى السياحية) في مصر وآسيا المسلمة إلا بمقدار ابقاء الشعور بالانتماء الديني لا المنهجي والعلمي وهذا بيّن لكل من يدرس مراحل حياته.

5.32 اجتهادات van der Leeuw في إعطاء لون للفينومينولوجيا وهي تدخل مخبر دراسة الأديان لها علاقة طبعاً بانتمائه الديني الواضح والعملي، ولها علاقة أيضا بEdmund Husserl النمساوي ابن الفضاء الألماني فكريا وفلسفيا ومؤسس المذهب.

الفضاء الألماني هو أيضا أحد الأركان الأساسية للبروتستانتية خصوصا مع تأسيس مارتين لوتر لمذهبه المنشق عن الكاثوليكية، والفضاء الألماني هو أيضا مهد الفكر الماركسي والمدرسة النقدية، فالأكيد أن كل هذه المكونات أثرت على مشروع van der Leeuw والأكيد أن انتقال ثمار تفاعله معها إلى فضاء آخر ومفكر آخر يقتضي التريث قبل قياس مدى سيطرتها على الكيان المتلقي، وهل استطاع تحليل عناصر الثمار وانتقاء ما يختاره طواعية وإرادة كاملة: عمليا يكون السؤال عن تبعية الفاروقي الكاملة أم انتقائية أم شقه لفرع ما للمشروع الأم ؟ والإجابة حسب خليفة حسن محببة للعاطفين المتعصبين .

6.32 يقول خليفة حسن لقد تجاوز van der Leeuw حدود الفهرسة المنظمة الدقيقة وتصنيف الظواهر الدينية إلى حالة يستطيع معها دارس الدين أن يعيد تجربة الحياة الداخلية للظواهر الدينية الأجنبية على نحو منظم وعد القوة الكاملة الأخرى a wholly other power موضوعا للتجربة الدينية وهي قوة قريبة من فكرة القداسة holiness عند ناثان سودر بلوم وقرينة أيضا من فكرة المقدس عند رودولف أوتو، ويقابلها عند الفاروقي مفهوم التوحيد الذي يعده جوهر الإسلام. هـ

الربط بين اجتهادات van der Leeuw وبعض فلاسفة ومفكري الغرب يبدو سلسا واضحا لكن اقحام التوحيد كمقابل للقداسة والمقدس تعثر على ما يبدو لاختلاف المعجمية بين المفهوم الفلسفي والاصطلاح العقدي، وأبسط صور التعثر أن الوصية الأولى من الوصايا العشر في الكتاب المقدس المزمرة لليهود والمسيحيين هي: لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. منهجيا لا يبدو واضحا كيف يوضع التوحيد في اشتباك مفاهيمي مع طرح فلسفي مفارق للخصوصيات الدينية ؟ بالإضافة إلى ضرورة الانتباه إلى الأدبيات المتوفرة بسخاء عن اشكاليات مصطلحي أو مفهومي المقدس والقداسة.

7.32 خليفة حسن سيدخل منظومة van der Leeuw ليحلل خصوصياتها ولكن بخلفية التراث الغربي، وهذا منطقي جدا لأن المقارنة تكون مقبولة عقليا وطبيعية: يضيف خليفة حسن: القوة الكاملة الأخرى عند van der Leeuw تأخذ مظهرها في عدة أنماط من الأشكال الموضوعية والاستجابات الذاتية كما أكد على أن المنهج الفينومينولوجي بأسسه العلمية الصارمة يجب أن تصاحبه نزعة لاهوتية معينة، وقد كان مسيحيا مؤمنا وبروتستانت المذهب، واعتمد على منهج حدسي في الوصول للأنماط والبنى، وفي عرضه لهذه الأنماط والبنى والجواهر بعيدا عن الاجراءات العلمية التجريبية التي مارسها العلم الحديث، فظواهره لم تكن موضوعا للملاحظة التجريبية بل كانت جواهر أو خصائص عامة تم الوصول إليها عن طريق رؤيا فعل حدسي كما هو الحال في الفينومولوجيا الفلسفية وعلى الرغم من أهمية البحث التاريخي والفيلولوجي بالنسبة لفينومولوجيا الدين فإن van der Leeuw لك يكن شخصا يهتم بالبحث في الأصول التاريخية والتطور التاريخي مفضلا التركيز على تقديم الأنماط والبنى والجواهر ا.هـ. البحث في الأدبيات العلمية المحيطة بأسماء الأعلام والمناهج المذكورة في تحليل خليفة حسن موجودة بأكثر من لغة: عرضا وتحليلا ومقارنة ونقدا، وعرض خليفة حسن عرض واضح، فهو درس في جامعة أمريكية كانت هذه الأسماء وهذه المناهج مواضع درس وبحث والأهم في العرض الطريق الذي شقه van der Leeuw في مسار مناهج دخلت مجال التداول والتشريح والمراجعات، وأهم ما يبدو من العرض منافحة van der Leeuw على خط الروح والإيمان وسط "تغول" مناهج تقارب الدين وعناصره بالعقل والمنطق المجردين من حرارة الروح (الذاتية). وهذا ما التقى مع استعدادات الفاروقي الذي تلقى ولم يؤسس.

اللجنة الورشية رقم 33

يقول خليفة حسن: إذا عدنا إلى الفاروقي سنجد عدة أمور منهجية مقاربة أو متشابهة مع منهج (فان در ليو) فعلى الرغم من اهتمام الفاروقي بالأصول التاريخية والتطور التاريخي كما يبدو من الباب الذي خصّصه للأصول في الأطلس، فإننا نجد في مقدمة الأطلس ينقد بشدة العلماء المسلمين والغربيين الذين عالجوا موضوع الإسلام وحضارته معالجة إقليمية أو تاريخية وهو يقول في هذا: أن الترتيب الإقليمي يمثل المنهج المفضل عند علماء الغرب الذين يقسمون المادة المتاحة بحسب الأقاليم المختلفة مركزين على المعالم الخاصة بتاريخ منطقة ما ١ هـ.

تعود مركزية السؤال ما هي إضافات الفاروقي على ما تلقاه ؟ هل الدراسات الإقليمية والجغرافية والتاريخية معيقات للوصول إلى نتائج قريبة من الحياد والموضوعية العزيرين في الدراسات الانسانية والاجتماعية؟

النوافذ المحتملة للإجابة:

1.33 لابد للإجابة من التذكير باتجاهات بحثية حديثة، يرى البعض أنها بديل للاستشراق مثلا ف Area studies من المجالات المعرفية التي فرضتها التطورات العلمية ولكن أيضا السياسية، وتكثيف الدراسات متعدّدة التخصصات والمناهج حول مناطق بعينها يسمح بالوصول إلى نتائج أكثر دقة، تسمح باتخاذ مواقف سياسية إزاءها مبنية على معرفة دقيقة بتفاصيل الإنسان والأرض: السؤال الملح مدى حيادية الدراسات أولا، أما الاستخدام السياسي فهي مسألة استراتيجية عند الأمم المتحضرة التي تسيّر العلوم والمناهج والسياسة والرياضة وكل المناشط ضمن خطة يضعها عقلاء وحكماء الأمة، وبديهي أن تكون المقاربات التاريخية حاضرة في كل التخصصات المرتبطة بدراسة المناطق: تاريخ الفنون / تاريخ الأمراض / تاريخ المعتقدات / تاريخ التحالفات السياسية... إلخ.

2.33 النزعة التاريخية في دراسة الأديان عند المسلمين ربما ارتبطت بكون أول اهتمام المسلمين بالأديان بعد الواقع المعيش المتنوع للمسلمين مع غيرهم من أقوام بخلفيات عرقية ودينية مختلفة: هو القرآن الكريم وما جاء فيه من معتقدات الأمم السابقة وحتى المعاصرة لظهور الإسلام: عرضا ونقدا بالاتجاهين الإيجابي والسلبي...

3.33 في الدراسات حول المجتمعات يعتمد على مناهج كمية وكيفية، وباعتبار نسبة العلوم الاجتماعية والانسانية، فإن ثمار تلك الدراسات لا يرقى إلى المطلق بل هناك قياسات لنسبة الخطأ

المحتمل، ولكن تبقى هذه المناهج على علاقتها أفضل من الكلام المرسل المبني على الانطباعات والملاحظات السطحية التي تملأ للأسف الكثير من دراسات تخصص العلوم الإسلامية، حيث يفتقر طلبة التخصص للتكوين المنهجي الدقيق بل أحيانا يُشخّص زهاب حاد من بعض الباحثين في العلوم الإسلامية إزاء المناهج الكميّة المتبوعة بالمناهج النظرية الشارحة والمفسّرة والمعلّلة والمقارنة والنّاقدة والفتاحة لآفاق جديدة للبحث.

4.33 ينقل خليفة حسن عن الفاروقي قوله أن العلماء المسلمين فضلوا الترتيب التاريخي، إذ نظموا مادّتهم العلمية بحسب الأحداث الرئيسة أو بحسب الانجازات التي تمت في فترة معينة أو في عدة فترات متتالية، ويرى الفاروقي أن كلا المنهجين يقع في النقص الخطير وهو عدم الأخذ في الاعتبار جوهر الثقافة والحضارة الإسلامية، فالترتيب الجغرافي يفتقد العنصر الذي يوحد الأقاليم ويجعل منها ولايات لعالم الإسلام الواحد والمعالجة التاريخية، فتجاهل المادة التي استمرت خلال أحداث القرون والأجيال التي نسجت هذا التنوع المذهل للتعبير في وحدة وضعية ثقافية اهـ.

الأسئلة الملحة هي هل تاريخ الشعوب الإسلامية تاريخ واحد ؟ ألم تكن الخصوصيات الإقليمية ميزة تنوّع الحضارة الإسلامية ؟ ألم يضع العلماء إشكالية الخلافة المقطوعة بالبحار ؟ نظرة الفاروقي لتاريخ الإسلام مثالية تتجاوز عن مشاكل خطيرة داخل التاريخ الـ "مبجل" من تطاحن بيني ومظالم داخلية واعتداءات، وفرقة وتمزّق وغيرها، والمفارقة أنّنا عندما نقرأ أمّهات كتب التاريخ الإسلامي نتفاجأ من مقدار الفواجع الأبعد عن المثالية التي ينافح عنها الفاروقي: الإسلام دين واحد ولكن تمثالاته متنوّعة جدا وأحيانا إلى حد التناقض.

هذا الإسلام الذي سجله المؤرخون وحتى بعض الفقهاء (كتب الفتاوى والنوازل) وعلماء الكلام وغيرهم، ولكن الإسلام الأوحده المرجع الثابت يتحدى التاريخ، ونقصان السلوك البشري يحافظ عليه الله عزوجل أولا والصالحون من كل المشارب من العلماء الرساليين إلى بسطاء الأمة من التاجر الذي يحرص على عدم الغش، إلى العامل البسيط الذي يستحضر الله في كل أموره، إلى الأم الأمية التي تعلّم أبنائها الوفاء للفطرة المسلمة بكلمات قد تكون أبعد ما يكون عن لغة القرآن الكريم سلاسة ومعجما..

5.33 ينقل خليفة حسن عن الفاروقي نقده للكتب التي حاولت الجمع بين الترتيب الإقليمي والتاريخي لأنها بهذا جمعت نواقص المنهجين.

السؤال المنطقي هنا: لما لا يكون الحديث عن إيجابيات المنهجين خصوصا بالجمع بين الجغرافيا والتاريخ، وتبقى السلبات دائما موضوعية من التّعثر في استخدام أدوات وآليات المنهج، وذاتية عندما يكون استخدام المنهج أقرب إلى الموضوعية، ولكن يتبعه سوء تأويل النتائج أو طمس بعض عناصرها.

6.33 الحل عند الفاروقي كما يوضحه خليفة حسن هو شبيه بما قدمه "فان در ليو" هو في المنهج الفينومولوجي الذي يتطلب من الملاحظ ترك الظواهر تتحدث عن نفسها بدلا من وضعها داخل إطار فكري محدد مسبقا. (وهذا ليس صحيحا باعتبار ما أضافه الأول على أساسيات المنهج الفينومولوجي).

ظاهر أن خليفة حسن يقول بطريقة مختلفة أن الفاروقي يتبنى منهج فان در ليو.

اللجنة الورشية رقم 34 خليفة حسن يريد بحسن نية أن يثبت تميزا لإسماعيل الفاروقي في إرساء وتطوير بعض مناهج دراسة الأديان، ولكن تعليقه وتحليله لا يوصلان إلى المخرجات المتوافقة مع هذا الهدف.

مداخل للتحليل:

1.34 يقول خليفة حسن أن الفاروقي أسس لمنهج الفينومولوجي إسلاميا، والفاروقي برده المنهج إلى أبي الريحان البيروني الذي طبقه على ديانات الهند وأصبح منهجه متبعا من بعده في التراث المقارن عند المسلمين، وبالنسبة للغرب فالمنهج الفينومولوجي لم يعرف في الفلسفة الغربية قبل آدموند هوسرل أ.هـ

2.34 من الملاحظات المنهجية التي ما يفتأ العقل الموضوعي يركّز عليها مدى حيادية عنوان كتاب البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ومفتاح الإجابة في أسباب تأليف الكتاب وفي حالة الكاتب وهو ينجز مشروع الكتاب، وإمكان التأمّل الموضوعي عند تحليل ذلك التذكير بـ Area studies بل بمشارط التشريح الدقيق يوجد في بعض صفحات الكتاب ما انتقده الفاروقي من سلبات المناهج (البيروني كتب مقدمة مهمّة، ولكن عمله مرتبط بسبب التأليف غير العلمي ابتداء ظروفه).

3.34. النقاشات المنهجية الدقيقة مازالت محدّدة إلى اليوم حول حدود الموضوعية والحياد في البحوث العلمية، وتتوالد مصطلحات جديدة مثل: الإلحاد المنهجي فالموضوع ليس جديدا وهو

رافق البحث العلمي منذ تأسيسه على قواعد الانضباط والدقة، وبالتالي يمكن أن تختلف المصطلحات وتتوالد الاجتهادات المفاهيمية، لكنها تعود كلها إلى القاعدة الأولى: الاقتراب والابتعاد من الذاتية حتى في اختيار الكلمات والتعبيرات والتوصيفات وإشارات التوقف والتعجب والاستفهام وغيرها.

4.34 الاحتفاء بمنهج ادموند هوسرل رافقه أيضا ورشات نقدية إلى حد النقض وهذه سنة حميدة في الكيانات المتحضرة بل شرط وجودها، لكن من يستورد المنتج دون حملته النقدية يكون إما أنه قرأ واستوعب كل ما أحيط بالمنتج - النظرية وقام بنقد النقد ليجد نفسه مع النظرية أم أنه منبهر وربما alienated. وحتى إن كانت الحالة الأولى، فمن الموضوعي والأمانة العلمية عرض الأطروحات النقدية حول النظرية أو المنهج، لأنها صورة من المنظومة المتكاملة: النظرية وضدها.

thesis and antithesis

5.34 يقول خليفة حسن أن الفاروقي رغم اعتماده على المنهج الفينيمولوجي، نبذه ينقد عملية تطبيق المنهج الفينيمولوجي في تاريخ الأديان لسببين: الأول تطبيقه فقط على الديانات القديمة البائدة أو الديانات التقليدية الحية، وعدم النجاح في تطبيق هذا المنهج على الديانات العالمية، والسبب الثاني هو عدم تطبيق المنهج الفينيمولوجي على دراسة الإسلام.

إذن هناك تحفظات نقدية للفاروقي على المنهج الفينيمولوجي، لكن ما يورده خليفة حسن أقرب إلى الدفاع المبطن عن المنهج الفينيمولوجي واعتبار شمولية تطبيقه على كل الأديان ضرورة منهجية. 6.34 يقول خليفة حسن أن الفاروقي يتهم علماء الغرب المتخصصين في الإسلام بأنهم لم يسمعوا بوجود علم الفينيمولوجيا أو فينيمولوجيا الدين، ولم يعرفوا مبدأ تعليق التقويم epoche الذي أرساه المنهج الفينيمولوجي، والذي يعني تعليق كل المفاهيم والأحكام المسبقة والتعصبات في تفسير المادة العلمية الخاصة بالدين الآخر أو الثقافة الأخرى. ١.هـ

أن لا يعرف علماء الإسلاميات في الغرب بوجود المنهج الفينيمولوجي، فهذا أمر ترفضه أبجديات التفكير السليم، فتجديد المعارف والاجتهاد المستمر من شروط الانتماء إلى مصاف الأساتذة والباحثين، اللهم إلا أراد الفاروقي الإيحاء بأن دارسي الإسلام في الغرب هم خارج الأطر الأكاديمية والعلمية؟

ثم من قال أن المنهج الفينيمولوجي عليه إجماع أمة العلماء كافة وأنهم ملزمون بإتباعه ؟

وأخيرا: أبسط تعريف للموضوعية في دراسة المواضيع في مجال علوم الاجتماع بفروعها، هي بالذات: ما أورده الفاروقي في تعريف الفينيمولوجيا. والحقيقة أن مراجعات الدراسات حول مصادر الفينيمولوجيا وظروف تأسيسها ومشاكل تعريفها وتطبيقها، تجعل من ينافح عنها كسقف المناهج ومنتهى الاجتهاد المنهجي خارج الفكر والعلم. لا بد من الاعتراف بأن هناك اقتناع بوجود حلقة مفقودة بين التّبني الكليّ للفينيمولوجيا للفاروقي، وكل الأدبيّات النّقدية التي رافقت تواجد هذا المنهج مجال التّداول العلمي؟؟؟

7.34 مصطلح epoché يمكن ببساطة البحث عن المصطلحات المتقاربة مع حملته، ومن ثم الحكم إن كان الأمر لا يعدو ترفا لفظيا.

8.34 ينقل خليفة حسن عن الفاروقي أن المستشرقين لم يتمكّنوا من إثبات قدرتهم على تطبيق مبدأ epoché في عملية التفسير أو الفهم، وأنهم التزموا بإيديولوجيات معرفيّة مركزيّة عرقيّة أو إدراك الحقيقة وفقا للعرق والاثنية، وأن هذا الالتزام المعرفي اضطّرهم أن يصبحوا إقليميّين في فهمهم للتاريخ. هـ. هذا الكلام لم يعد مقبولا اليوم بعد أن استيقظ علماء المسلمين أو بعضهم (العبرة ليست بالكم ولكن بالفعالية) على الأقل من أزمتي التّججيل المطلق للاستشراق والمستشرقين، وللشّيطنة المطلقة للاستشراق والمستشرقين، والتحليل الموضوعي يمر عبر خطوات دقيقة وواضحة:

1.8.34 الانتاج الاستشراقي ذو النزعة الاستعمارية والتّنصيرية والهدمية، والمغالط والباحث عن الغام لنسف الإسلام ومكوناته، والمتلاعب في المخطوطات نشرا مشوها وتأويلا وطمسا وغيرها من الجرائم المنهجية والعلمية وقبل الأخرى، وهذا الانتاج يوضع في ملف: الحرب الشرسة على الإسلام، وبلغة الاستراتيجيات يوضع في مخبر تشريح المؤامرات والحروب النفسية، يحلل ويصنّف ويستخرج منه ما يفيد حروب اليقين: ردّا وهجوما معاكسا.

2.8.34 المستشرقون ليسوا مسلمين، فبحوثهم تنطلق من هذا المبدأ في ما كتبوه عن القرآن الكريم، والسنة، وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، وعلم الكلام والفقه والفلسفة والتاريخ والفنون والتّصوف، وغيرها من مكوّنات الفكر الإسلامي وحياة المسلمين.

وهم ينقسمون إلى مدرستين: مدرسة تتعامل مع الإسلام والمسلمين كحقيقة موجودة، ويشرحون مكوّنات الفكر الإسلامي وتفاصيل حياة المسلمين بعيدا عن الاقتناع بعصمة المصدر.

ومدرسة جذرية تشكك في القرآن، وترى أنه تكوّن لاحقا عن وجود النبي عليه الصلاة والسلام، بل وهناك من يشكك في وجود النبي عليه الصلاة والسلام، وفي موقع الرسالة بعيدا عن مكة والمدينة، وغيرها من فرضيات الجذريين.

3.8.34 الاستشراق الكلاسيكي توغل في تراث المسلمين بالحصول على المخطوطات الأهم شراء واستيلاء وانقاذاً (أنظر بعض التفاصيل في كتب: عائشة بنت الشاطئ وإبراهيم النملة مثالا) وبعضهم تمكن من اللغة العربية وآدابها، بل منهم من تخصص في اللهجات، ومنهم من تخصص في دقائق العلوم الإسلامية الأساسية: تفسيراً وحديثاً وسيرة وفقها، وغيره، إلى جانب مناهج تحقيق المخطوطات، وكانوا أوائل من درّس في الجامعات العربية والإسلامية الحديثة.

4.8.34 الاستشراق ليس ملة علمية ومنهجية واحدة، فالمستشرقون من خلفيات دينية مختلفة: يهود ومسيحيون وملحدون وبوذيون وغيرها من تضاريس الأديان في العالم، وفيهم عرب مسيحيون ومسلمون مستلبون، لم يحافظوا من الإسلام إلا على الانتماء العائلي.

5.8.34 عندما نقرأ شبهة للمستشرقين علينا أن ندقق أولاً في مصدرها، وهل المستشرق أمين في النقل، ثم هل هو أمين في الفهم ثم هل هو أمين في الإسقاط على الواقع.

إن لم يكن أميناً في النقل فقد كفانا عناء التتبع والبحث، ولفظته دائرة الباحثين آلياً؛ وإن كان الاشكال في الإسقاط فمشكلتنا داخلية مادامت الشبهة "ثابتة" ما لم نبحت في تراثنا وعقولنا على دحضها علمياً، أما دينياً فالمستشرق غير ملزم بعقائدها، والحقيقة أن بعض شبهات المستشرقين نجد الإجابات عنها في بعض مؤلفات المسلمين قبل اكتمال نمو الاستشراق: إعراب القرآن نموذجاً.

6.8.34 الاستشراق إذن له أسسه ومناهجه التي تمر حتماً عبر التشريح المخبري الدقيق، ومن غير المفيد الاحتفاء ببعض الانتصارات الجزئية وأحياناً الوهمية على بعض ادعاءاته، لأن الشبهات لن تتوقف والأسئلة ليست كلها غير وحسد من المستشرقين ورغبة في هدم الإسلام: المغالبة الفكرية والدعوة الإسلامية فرض عين تجعل المسلم يسمع كثيراً ليفهم أكثر ويجيب برزانة وانفتاح على دورات أخرى من الابتلاءات المنهجية والعلمية: سنة الله، وغير مطلوب من المسلم استنزاف فواه في محاولة إقناع المشكك والمتسائل في مواضيع جزئها الأكبر يدخل في التسليم العقدي دون أن يعني هذا اللجوء المتسرع إلى تكيف الأسئلة في هذه الدائرة.

اللجنة الورشية رقم 35

يقول خليفة حسن أن الفاروقي يرد على غياب الموضوعية في التعامل مع المادة الإسلامية أيضا إلى تراث العداء والمواجهة بين الغرب والاسلام الذي توارثه هؤلاء المستشرقون جيلا بعد جيل، ولأسباب السابقة يعتبر خليفة حسن أن كتاب أطلس الحضارة الإسلامية أول تطبيق للمنهج الفينيمولوجي على الإسلام وحضارته، وقد جمع الفاروقي بامتياز بين منهج فان در ليو الخاص بالجوهر والمظهر ومنهج يواكيم فاخ الخاص بالفكر والفعل والتعبير ويشرح الفاروقي في مقدمة الأطلس هذا المزج بين المنهجين.١٠٠هـ

نوافذ الاجابات المحتملة على ما تثيره هذه الأحكام من تساؤلات:

1.35 مشاريع كتابة الأطلس والموسوعات التاريخية عرفت البشرية في ثقافات عديدة، وفي التاريخ هناك الجوانب المادية والجوانب اللاّمادية، وهناك الغوص في تفاصيل حياة الإنسان: السؤال هل مشروع أطلس الحضارة الإسلامية لم يكن مسبوقا بشبيهه من مسلمين وغير مسلمين، وفي مؤلفات عامة أو مؤلفات خاصة منفصلة معاصرة للفاروقي أو سابقة على زمانه؟

الكتابة عن الحضارة يعني تتبّع ثمار العقل والروح، وفي رصد هذا هناك الشّق الوصفي الحيادي الذي يتفق على نقل تفاصيله كل باحث موضوعي، ثم هناك التفسير أو فلسفة الحضارة التي تقرأ وتفكّك العناصر وفق رؤية منهجية يختارها كل باحث بخلفية موضوعية خالصة، ولكن أيضا بذاتية تفرضها أحيانا الجوانب المزاجية والدّوقية لتحليل ثمار الحضارات.

2.35 المزج بين منهجين ينتميان إلى نفس الفضاء، يعني أن الفاروقي ينتج مؤلفا برؤية فرضت آلياتها مناهج أسّسها وفصلها العقل الغربي الذي ينتقده الفاروقي وأيضا خليفة حسن: الرد المنطقي أن هناك جوانب في المناهج حيادية لا علاقة لها بالذاتية والمرجعيات الشخصية، لكن احتجاجات الفاروقي كانت تنبؤ أنه يريد أن يتحرّر من سلبيات مناهج الغرب ومناهج المسلمين.

3.35 هل شرح الفاروقي فعلا في مقدّمته علاقة الأطلس برؤية منهجية مستوردة بذكر أسماء الأعلام ومناهجهم، مع ملاحظة دقيقة وهي أن جواز سفر الكتاب إلى المكتبات الغربية هو مدى التزامه بالمعترف به من مناهج الغرب في تخصص الفاروقي تحديدا.

4.35 التفصيل في هذه الملاحظات يحتاج أساسا وأولا إلى تتبّع النسخة الإصليّة وتلقّيها في الدوائر الغربية.

5.35 هناك إقرار وحكم من خليفة حسن على أطلس الفاروقي حيث يقول: يجب أن نعترف إن الفاروقي كان الوحيد من بين علماء تاريخ الأديان في الغرب الذي تمكن من تطبيق منهج فينيمولوجيا الدين على الإسلام، ويمكن أن ندعي أن علماء الأديان في الغرب لم ينجحوا في تطبيق هذا المنهج على أي من الديانات العالمية، فدراستهم ركزت على الديانات البدائية والتقليدية¹.

1.5.35 هذا الإقرار يدفع إلى سؤال أول: هل المنهج الفينيمولوجي هو سقف المناهج وأصحبها، ومن ثم يأتي السؤال الثاني حول إلحاحية ضرورة تحليل وتفكيك أطلس الفاروقي، ومعرفة موقعه الحقيقي في المكتبة الإسلامية والمكتبة الاستشرافية، ومكتبة مقارنة الأديان. يقارن بما هو موجود في كل مكتبة وما مدى رضى حراس معبد المنهج الفينيمولوجي على عمل الفاروقي، وهو يخرق أهم مبدأ في المنهج بجمعه التوحيد مركز الحضارة الإسلامية ومدى استنساخ الفاروقي لخطوات van der Leeuw.

2.5.35 كلام خليفة حسن هذا يرضي كل مسلم من غير شك، ولكن المفروض أن التطبيق الصارم للمنهج يجعل تلقي نتائج تطبيقه على الإسلام من مسلم أو من غير مسلم متطابقة، بمعنى أن المفروض لو قام باحث آخر بتنفيذ البرنامج المنهجي الفينيمولوجي على الإسلام، يصل إلى نفس فكرة محورية التوحيد كما اغراق الكلام بالتوصيف المبالغ يمنع الرؤية الواضحة للأفكار، فهو يبهل ويسعد، ولكنه أشبه بالوهم والتخدير. إضافة إلى ما سبق، تبدو واضحة ضرورة مراجعة كتب فلسفة الحضارة لفهم الروح والتفاصيل.

6.35 يعترف خليفة حسن أن تلاميذ الفاروقي لم تستميلهم مشاريع تطبيق المنهج الفينيمولوجي على الإسلام، ويرجع بعض الأسباب إلى صعوبته ويعترف أنه وهو أحد تلاميذ الفاروقي له محاولة في ذلك في كتابه: الإسلام دراسة في تاريخ الأديان.

السؤال المختصر هنا: ماذا خسر الإسلام وماذا خسرت دراسته في مخابر البحث العلمية عندما لم يخضع إلى آليات المنهج الفينيمولوجي الذي تحيط به انتقادات عميقة ولم يجمع العلماء على أنه المنهج المقدس الذي يجب أن يلتزم به الباحثون، وعندما حاول الفاروقي ذلك كان بعد أن تبنى نسخة منقحة غير معترف بها من المنهج؟

7.35 من الجوانب المهمة التي توقّف عندها خليفة حسن تدخّل الذاتي في التوافق العقلي بين الفاروقي وبعض المتخصصين في مقارنة الأديان، ولاشك أن آليات ال Epistemology

و Cognitive psychology خلفيّة مهمة في تفكيك المشاريع العلمية والمنهجية لآبد من أن يلتزم الباحث المدقق في تداعياتهما على اختيارات أي مجتهد.

يقول خليفة حسن: يمكن تقسيم مؤرخي الأديان إلى مجموعتين: مجموعة أولى يمثلها عدد من أبرز مؤرخي الأديان المتديّنين الذين يؤمنون بالدين ولا يهتمون التجربة الدينية الشخصية ولا ينكرون انتماهم الديني، بل يعدونه ضروريا لفهم الدين، والتجربة الدينية، ولا يرون في ذلك تأثيرا على الموضوعية في دراسة الأديان، ويمثّل هؤلاء "فان در ليو" و "يوآكيم فاخ" وولفرد كانتول سميث" وهي المجموعة المؤثرة على الفاروقي منهجيا على الرغم من انتماء الثلاثة إلى الفكر الديني المسيحي، والمجموعة الثانية تتكوّن من مؤرخي الأديان وهي الأغلبية من حيث العدد، فهي من مجموعة من مؤرخي الأديان العلمانيّين أو حتى الملحدين الذين لا يؤمنون بالدين ولا ينتمون عن إيمان إلى أي الأديان، وهذه المجموعة تلتزم بالمنهجية العلمية وبالموضوعية في دراسة الأديان. 1.7.35

1.7.35 سبق التنبيه إلى هذا أعلاه، ومن الضروري إيراد كلام خليفة حسن حتى وإن بدا تكرارا لأنه يبيّن التناقض بين تصدير صورة المؤسس لتيار في الفينيمولوجيا للفاروقي، وبين الاعتراف أنه مقلد لتيار مسيحي، مع الإضافة الضرورية إلى أن كل ذلك يعدل في البصمة الأصلية للمنهج الفينيمولوجي، فلما إصرار كل هؤلاء على التّشبث بمنهج يجردونه من أحد أهم ركائزه (يعني هدمه مادام الركائز هي أساسه؟

2.7.35 في أدبيات فلسفة الدين يعد إنكار الدين أيضا ضمن التجارب الدينية، لأنه موقف من مبدأ أو حالة، وحسب عرض خليفة حسن، المجموعة المؤمنة تلتزم بإعطاء دور لإيمانها في دراستها للأديان، والإشكال هنا إذا كان الاعتقاد بوجود إله عامل مشترك، فإن تفاصيل الاعتقاد مختلفة إلى حدّ التعارض أحيانا حتى في الدين الواحد: المذاهب المسيحية وحركاتها "التجديدية" أو ما يسمى اليقظة المسيحية نموذجاً، ما يقول خليفة حسن قد يوحي بأن مجموعة العلمانيّين والملحدين أقرب إلى الموضوعية والحياد لوقوفها على مسافة واحدة من الأديان وما يمثلها في كتلة غير المؤمنين، ولكنها في المقابل ليست على مسافة واحدة من الإيمان وعدم الإيمان.

من يحدّد حدود المجال الذي من حق الدارس المتديّن استعمال إيمانه بالله أولاً ثم إيمانه بمقتضيات هذا الإيمان في التفاصيل الدقيقة لآليات المنهج وهي تنزل على المواضيع الدينية واللا دينية، وعند التعارض من يرجّح الأقرب إلى الحياد المطمئن لموضوعية مخرجات البحث؟

3.7.35 العلمانيون والملاحدون لا يطبقون تعاليم دينية على تحليلاتهم ودراساتهم للأديان ومختلف المعتقدات، ولكنهم يعرضون بدائل للمفاهيم والأوعية الدينية: فالصلاة مثلا يتم دراستها في جانبها الشعوري أي بآليات علم النفس مثلا، ولعلّ "وليام جيمس" ونظريته للتدين⁽¹¹⁾ والتجربة الدينية دليل على التقاطع بين تشخيص العلماني وتشخيص المتدين: "وليام جيمس" يعرض فكرته عن الذكاء العملي في الاعتقاد بتفاصيل الدين مادام ذلك يثمر توازنا نفسيا واستقامة اجتماعية ومصالح دنيوية، وحتى إذا اتضح ثغافت الدين بعد الموت فيكون هذا المؤمن البراغماتي قد استفاد من إيجابيات الدين دون أن يتورط فيما يؤذيه، ودائما عند عرض فكرة "وليام جيمس" هذه يسترجع تلقائيا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى" إسلاميا ولكن عقليا تصوّر "وليام جيمس" عن الله تصور "مجنون" بمعنى أنه يعتقد أنه يستطيع استغلال الله، ولا بد من استحضار فكرة العلاقة بين البروتستانتية والرأسمالية لـ"ماكس فيبر" (موقفه من الإسلام يستحق دراسة مستقلة).

اللجنة الورشية رقم 36 يقول خليفة حسن عن الفاروقي أنه معترف بالأديان الأخرى ومقرّر بتجاربها الدينية الخاصة، ومدرك للمشارك الإنساني في تجارب الأديان عموما، وهو من مؤسسي حوار الإسلام مع الأديان الأخرى .

منافذ المداخل المحتملة

1.36 الاعتراف بالأديان حقيقة واقعية لا يغيّرها مسلم أو غيره، والعاقل من يتعامل مع هذا الواقع كما هو بالحرص على احترام مبادئه، وفي هذه النقطة بالذات تطفو أسئلة ملحة مثل:

1.1.36 هل اليهودية اليوم بمختلف فرقها وطوائفها وكتابها المقدس الأساسي والفرعي: التناخ والتلمود هي التي يتحدث عنها علماء المسلمين وهم لا يعترفون بالاستناد إلى القرآن الكريم عمليا إلا بالتوراة المنزلّة على النبي موسى عليه الصلاة والسلام؟

2.1.36 هل النصرانية التي يؤمن بها المسلمون كما جاءت في القرآن الكريم هي المسيحية التي يعتنقها ملايين البشر اليوم ويتحاور بعض المسلمين على أساسها مع أتباعها؟

3.1.36 هل الأديان غير السماوية المنتشرة عبر مراحل تاريخ البشرية وامتداداتها الجغرافية هي فقط التي أشار إليه القرآن الكريم؟

4.1.36 هل القرآن الكريم جاء كتابا في تاريخ الأديان منذ الإنسان الأول بتفاصيلها وهو الذي يبيّن أن النبوات قسمة عادلة بين كل الأمم عبر التاريخ حتى وإن لم تذكر تفاصيلها.

5.1.36 هل الأحكام الفقهية تجاه المخالف تشجّع على الحوار الحقيقي: أحكام التكفير والنجاسة نموذجان، ولكن توسيع بند أهل الذمة للمجوس. وهل المسلمون فصلوا نوائيا في اشكاليات آية السيّف، وكيف يتم التوفيق مع الرأي الذي يرى أن الدعوة فرض عين وفرض كفاية، وأن زمن الجدل قد انتهى بظهور الحق ناصعا؟ وغيرها من الأسئلة الملحة الشائكة والتي لا تنفع في تحليلها الخطابة والإغراق في المحسنات البديعية، علما بأن هناك علماء استثمروا مقاصد القرآن الكريم لإعطاء الحلول النظرية والعملية لمثل هذه الاشكالات، ولكنها لم تحقق الاجماع.

2.36 من القضايا التي ركز عليها الفاروقي في تحليل التاريخ الإسلامي وفق النظريات الغربية: جعله التوحيد مركز كل الخصائص، وجعله أيضا مكوّنًا في معالم النظرية الغربية (مكان المقدس) هنا لابد من التذكير أن بعض علماء المسلمين في تصنيفهم للأديان فرّقوا بين الموحّدين وغيرهم وفي الموحّدين ذكروا اليهود. يقول مثلا ابن حزم في الفصل الجزء الأول: أن أهل الملة -يعني اليهود - وأهل هذه التّحلة - يعني من أنكر التثليث من النصارى - موافقون لنا في الإقرار بالتّوحيد ثم بالنبوة وبآيات الأنبياء عليهم السلام...إ.هـ. ابن حزم من أهم من كتب نقدا لليهودية في سياق تاريخي حرج (ابن النغيلة ودوره السياسي) وفي هذه الفقرة نرى أنه يجعل الإسلام حاكما على اليهودية، ويخالف الواقع عندما يقول أن اليهود موافقون للمسلمين لأن التسلسل التاريخي يجعلهم الأقدم، ولأن اليهود أصلا لا يعترفون بدين الإسلام ولا بالمسيحية، وهذا النموذج يبين أن قارئ تراث الجدل الديني عند المسلمين يحتاج إلى الكثير من التّريث قبل إصدار الأحكام والمواقف، للحكمة أن لا تكون هناك أحكاما بل تشريحا لفهم روح ذلك النقد وصداه داخليا وخارجيا، ومن ثم حوصلة النتائج الموضوعية في سبيل بناء عمارة مقارنة الأديان عند المسلمين بما يتوافق مع آليات البحث الموضوعي، وبوضع هامش دائم تذكيري بأن ناقل الكفر ليس كافرا، وبأن حصيلة البحث الموضوعي تحول إلى ورشات التأسيس لاستراتيجيات الدعوة المبنية على العلم والرحمة والحزم، ومنهجيا صنّف بعض الباحثين كتاب الفصل في فرع العقيدة وليس مقارنة الأديان، وهذا تصنيف منصف.

يلاحظ أن المعتزلة من خلال نموذج القاضي عبد الجبار مثلا لم يجعلوا اليهود في صفّ من يخالف المسلمين في أصل التوحيد عند شرحه لهذا العمود المركزي في أصول المذهب⁽¹²⁾

3.36 الاشكالات في قضايا اللاهوت في كافة الأديان عميقة، وأديباتها معقدة، ولذلك لابد من تذكير جماعة الشتم العلني لعقائد الآخرين المذدغ لمشاعر الاستعلاء لدى أفراد متأزمين من سطوة الغرب، أن مسألة العقيدة والألوهية تحديدا بوابة مركزية لفهم الآخر، ولكن يجب التسلح بالمعرفة قبل الجدل.

4.36 الفاروقي في دراسته لليهودية والمسيحية كان عارضا وناقدا، ورغم الاحالات والمراجع فإننا كمسلمين نستفيد من هذه المنهجية في البحث عن المصادر مثلما نُجبر منهجيا وعلميا من يتعرّض لدراسة الإسلام إلى ضرورة المرور بفهم اللغة والتفاسير ومدارس الاعتقاد والفقه والتّصوف وغيرها، لكن يبقى في كل الحالات المتخصصون وأهل الدين هم من يقرّر إن كانت المصادر والمراجع موضوعية، وإن كان استثمار المعلومات التي فيها موافقا لروح الدين المدروس، ثم تفترق سبل التحليل والنقد. (رفض علمي من المسلمين لاعتماد بعض المستشرقين على مصادر هامشية شاذة عند دراسة مفاسل وأجنحة الفكر الإسلامي).

5.36 حوار الأديان كما سبق الإشارة، هو مجال من مجالات المغالبة يحدّد اتجاهها الغالب ويمكن اختصار هذا المحور في: من يحاور من: أين؟ متى؟ كيف؟ لماذا؟ ماذا؟ : أي موضوع الحوار: هل يكون من الدائرة الصلبة للعقائد أو في الفضائل التي تتوافق مع الفطرة السليمة.(وغیرها).

اللبنة الورشية رقم 37:

يتحدث خليفة حسن عن النزعة اللاهوتية المصاحبة لمؤرخي الأديان موضوع المقارنة فيقول: بالإضافة إلى البعد الشخصي العميق للدين عند الفاروقي، و"فان درليو" و"فاخ" و"سميث" نلاحظ أيضا وجود نزعة دينية واتجاه ديني لاهوتي قوي في فكر المجموعة، وهو اتجاه صريح اعترف به هؤلاء في كتاباتهم وفي توجهاتهم العلمية.

مداخل محتملة للتحليل

1.37 كثيرا ما يتعامل بعض الباحثين المسلمين مع الفكر الغربي بكونه ملة واحدة، ولا ينتبهون إلى الخطأ الفادح الذي يرتاحون في تبنيّه، فالهدم والشتم والإدانة وتضخيم الذات، ديدن العاجزين، أما الباحثين الحقيقيين فقد نبّهوا أن الغرب منذ تكوينه لم تخل منه أصوات التدين والفطرة السليمة لذلك من مبادئ ديننا ملاحقة الحكمة أينما كانت.

2.37 بين مؤسس الفينيمولوجيا وبين متبّعي عناصرها عبر تاريخ الأفكار، خصوصا في الغرب، إلى عالم اللاهوت الذي يرى البعض أنه صاحب الفينيمولوجيا، إلى مجال دراسة الأديان، إلى Pierre Daniel Chantepie de la Saussaye، إلى الأدبيات الناقدة والرائدة على النقد في عالم الأفكار الغربي: كل هذه المحطات تقتضي العودة إلى المصادر وتتبع دقائق النقد.

3.37 اشكالية عويصة تفرضها القائمة التي وضع فيها خليفة حسن الفاروقي مع "فان در ليو" و"يوأكيم فاخ" فالاسمان الغربيان درسا في الدوائر الكنسية الأكاديمية والعلمية، وهما بروتستانتان (الدائرة الألمانية الكبرى) منشأ المذهب، أما الفاروقي فتكوينه الديني الإسلامي كان في الطفولة على الهامش حيث درس أبجديات اللغة العربية وأمور بسيطة جدا، لكن كل مراحل تعليمه المنهجي والصّارم كان في حضانات ومدارس وكليات وجامعات غربية، كلّها تقريبا بمحوبات ديني يهودية ومسيحية، وإقامته القصيرة والمشتتة في مصر للدراسة في الأزهر تخلّلتها مرحلة ارتباك مع التّماهي في مشروع جمال عبد الناصر، بالإضافة إلى حالة الأزهر في تلك المرحلة الحرجة، وطبعا يربط كل هذا بقصر مدة الإقامة غير المنضبطة فكريا: هذا فيما يتعلّق بالتّلقّي العلمي الديني ضمن مؤسسات.

4.37 هناك توصيفات لبعض الاتجاهات الأخلاقية واللاهوتية للشخصيتين، ولكن السؤال: هل ملاحظتهما وتحفظاتهما على التطبيق الحرفي لأدوات وآليات المنهج الفينيمولوجي على الظواهر الدينية وتاريخ الأديان، وحتى فيما يتعلق بمناشط الإنسان المرتبطة في كل حالاتها بمعتقداته باعتباره إنسان روحي أو إنسان متدين: هل هذه التحفظات قبلت في الدوائر العلمية كإسهامات مؤسّسة ذات قرابة مقبولة مع المنهج الأصلي ؟ وهل ما أنتجه هؤلاء يصنّف ضمن نقد الفينيمولوجيا أو تعديلها، يعني بالنسبة للمؤسسين و الـ"مريدين": تحريفها؟

5.37 نموذج مما نقله خليفة حسن عن أحد أعضاء المجموعة تبين هذه الاشكاليات: نقلا عن أحد المحلّلين عن فاخ: أنه تلميذ ومعلم حقيقي في مدرسة المسيح، وأن أهم ما في حياة وفكر "فاخ" تجربته الخاصة بالمسيح، متأثرا بتفسير "بولس" للمسيح، مع ميوله إلى النمط اليوحي للتقوى المسيحية. كما تأثر بـ"سانت أوجستين" أكثر من غيره من الآباء، وهو ينتمي إلى رواد النهضة المسيحية، وأن مزاج "فاخ" الفكري يميل إلى اللاهوت الفلسفي، متأثرا بـ"وليام تمبل"، كما أن تقديره للتّراثين الكاثوليكي والبروتستانتي، وحبّه للوعظ (خطأ ترجمة من خليفة حسن) جعله يشعر

بأنه في بيته في الكنيسة الأسقفية، وكان مدافعا متحمّسا للحركة المسكونية، وقد كان مؤمنا بتعددية الأديان ١.هـ

1.5.37 بالنسبة لمن درس المسيحية، يجد في هذه الفقرة تركيز وتزكية مبالغ فيه، وكأن الرجل من عالم المعصومين، وكل تيار أو مدرسة في الفقرة يوجد وراءها مكتبة كاملة تعريفا وتحليلا ونقدا. 2.5.37 الغريب أن اسم الانجليكاني "وليام تمبل" جاء في نفس مقام "يوحنا" والقديس "أغسطين"، للتذكير "وليام تمبل" الانجليكاني مذهب بريطانيا التي انشقت عن البابوية ولم تتبن البروتستانتية، ولكن هذه الشخصية لها أيضا اجتهادات ليس من الضروري أنها تمثل أصل المذهب. هناك في المسيحية ما يشبه توحيد المذاهب عندنا: الحركة المسكونية Ecumenism والبعض يرى أنها حركة ضد التعددية الدينية وحوار الأديان ؟ فكيف يجتمع الضدان (بل الأضداد).

6.37 أمام بعض الأصوات المندفعة نحو شكل مهتز من وحدة الأديان، قالت إحدى الشخصيات المركزية في الفاتيكان يوما: نعم نصلي مع بعض ولكن لا نصلي معا: يعني كلُّ يصلي لإلهه حتى وإن كانت العبادة هي الصلاة أكثف التجارب الدينية في الأديان (الصلاة بمعناها الواسع).

7.37 لم يفت خليفة حسن الإشارة إلى رفض منهجي لمسمى "فاخ" حيث قال: قد نُقد "فاخ" عند بعض مؤرخي الأديان بأنه خلط بين "فاخ" مؤرخ الأديان و"فاخ" المسيحي، ولأنه استخدم المسيح نموذجا في مناقشاته...١.هـ

السؤال: لما يتسوّل "فاخ" المنهج الفينيمولوجي الذي له قواعده وآلياته، ثم يحرفه ويريد إجبار الآخرين على مسعاه؟ ولما يتسوّل الفاروقي المنهج من متسوّل ؟

8.37 الغريب أن خليفة حسن يدافع عن فاخ وهذا مفهوم من الناحية الشعورية و لكنه دفاع خارج أطر صرامة المنهج .

اللبنة الورشية رقم 38: يرى خليفة حسن أن الفاروقي يتبنى فكرة "فاخ" من أن التجربة الدينية الأصلية هي ادراك الوحي أينما يقع داخل أي سياق اثني أو ثقافي أو اجتماعي أو ديني؟

مداخل محتملة للتحليل

1.38 التجربة الدينية من أعقد مواضيع دراسة الأديان لصعوبة إن لم يكن لاستحالة قياسها أو ضبط معالمها.

2.38 التجربة الدينية قد تكون تجربة الردة أو الإلحاد، كم قد تكون أعقد صور التجارب الصوفية الحلولية.

3.38 لنفس الموقف الظاهري في تجربة دينية قد تكون الخلافات الداخلية من التنوع والتناقض ما يعجز الباحثين مثلاً: طقوس الصلاة الواحدة والتفاعل مع حالة الصلاة.

4.38 الربط بين التجربة الدينية والوحي مفتّخ، لأن تحرير مصطلح الوحي ليس واحداً في كل الأديان والمعتقدات، فهل هناك مجال للمقارنة بين الوحي في الإسلام والتواصل مع الأعلى في الشامانية وعبدة أرواح الأسلاف وأنصار تخاطر الأرواح، وكل أشكال الوثنيّات عموماً؟

5.38 حتى في الأديان السماوية هناك اختلافات جوهرية لمفهوم الوحي والإلهام (في المسيحية مثلاً دور الروح القدس في الحركة الكاريزمية).

6.38 اللاهوت الدفاعي وعلم الكلام الإسلامي هي علوم دينية، بل من العلوم الهامة في شبكة العلوم الدّينية، وليس علوم الدين، وبالتالي هي غير قابلة للنقل والتعميم، اللهم إلا في التمثيل لدور العقل في الدفاع عن الدين واستخدام آليات التفكير المنطقية.

7.38 خليفة حسن يبيّن بصراحة أن الفاروقي سقّف المنهج الفينيمولوجي بأنه المنهج الوحيد الصالح لدراسة الأديان، وينقد الفاروقي المناهج الأخرى كالانثربولوجي والاجتماعي والتاريخي والفلسفي واللاهوتي المسيحي، الذي يعتقد أن المسيحية الدين الصحيح الوحيد .

8.38 هل يلحق الفاروقي بنقده علم الكلام الذي يفعل ما يفعله اللاهوت المسيحي من دفاع عن العقائد؟

9.38 لا بأس من التذكير الملحّ أن هذه المناهج درستها المخابر العلميّة في الغرب منذ تأسيسها، وتكوّنت مكاتب وصفية وتحليلية ونقدية لكل واحد منها، أما الاتجاه الحصري الذي يرى الحقيقة في دين واحد فهذا ليس خاصيّة مسيحية فقط: عندنا: أن الدين عند الله الإسلام. وهذه الاشكاليات تدرس في محور التعددية الدينية والتّسببية الدينية (التّعددية الثقافيّة والتّسببية الثقافيّة)

10.38 في مسألة التّسقيف: ينقل خليفة حسن أن الفاروقي يشرح تفاصيل المنهج الفينيمولوجي بوصفه أرقى مناهج دراسة الأديان من الناحية المنهجية والموضوعية، ويعطي تفاصيل عن جمع المادة العلمية وبناء المعاني وتنظيم المعلومات والمواد داخل نظام كامل عقائدي وطقوسي ومؤسسي وأخلاقي وفي وربط هذا كلّ بتاريخ الحضارة المعنية بوصفه كلا .

1.10.38 أبعاديات الدراسات الوصفية التحليلية لا تخرج عما قاله الفاروقي عن المنهج الفينيمولوجي مما يذكر أن تصنيف المناهج بحاجة إلى دقة صارمة والسؤال الملح هنا أيضا هو: من يحدّد ويراجع ويحكم على موضوعية الدارس، وكل الأديان والمعتقدات مكوّنة من تضاريس متنوّعة إلى حدّ التناقض أحيانا، وفي تفاصيلها أقاليم عقدية وفكرية يدّعي كل إقليم أن الحق معه (الصراعات المذهبية والهرطقات).

2.10.38 ومن هو هذا الإنسان الذي يتحوّل إلى آلة في الملاحظة والتوصيف والتحليل والربط ؟ (حتى الآلة الذي يرمجها هو الإنسان).

3.10.38 في النهاية أليس مرجعية الإنسان هي التي تسعفه عندما يواجه كهوفا غريبة ومناشط إنسانية لا عهد له بها، أو بما يشبهها: في أزمة الانثربولوجيا كانت الأزمة الأشرس: أدوات المراقبة وأدوات التوصيف وأدوات التعبير أمام سلوكات دينيّة وثقافية واجتماعية غريبة، وهذا ما تنبه له بعض المستشرقين عندما توغّلوا في المجتمعات الإسلامية بطبقاتها وتنوّعاتها اللغوية والعرفية، وحتى في هوامشها: هناك من ادعى الإسلام وتزوّج مسلمات وحجّ ودخل في تفاصيل دقيقة من حياة المجتمعات الإسلامية المحافظة، بالإضافة طبعا للوصول إلى قمم القرار السياسي والديني، كل هذا من أجل محاولة الدخول إلى عمق التدين لدى الأفراد عبر التعايش اللصيق. (حملة نابليون نموذجاً).

اللبنة الورشية 39

يذكر خليفة حسن أن الفاروقي يرى أنه على الرغم من وجود عدة محاولات لاهوتية مسيحية للدراسة المقارنة للأديان، فإنه لا يوجد حتى الآن ما يسميه الفاروقي: الماوراء الدين الناقد critical meta-religion ومن أهم بنود هذا الفكر الديني الماورائي الناقد أن الاختلافات بين الأديان تنتمي إلى السطح، بينما تشير وجوه الاتفاق العامة بين الأديان إلى الجوهر، وهي قاعدة مهمة في بناء هذا المبدأ أو الفكر الديني الماورائي.

مداخل لتحليل محتملة

1.39 جوهر الإسلام كما بيّن الفاروقي في مؤلفاته هو التوحيد، وهذا لا خلاف عليه بين كل المسلمين، والتوحيد عند المسيحيين يختلف عن التوحيد الإسلامي وعن جوهر التوحيد في اللاهوت الهندوسي وبعض الأديان الأخرى، أيضا تعتقد في صورة توحيدية للإله وتؤسّس منظومة فكرية منطقية للدفاع عن تصوراتها.

فكيف يكون التوفيق بين هذا التشخيص وفكرة الفارق عن التوحيد المشترك ؟

2.39 علماء الأديان ليسوا كلهم مسيحيين بما في ذلك في الولايات المتحدة: هناك اليهود والبوذيون والهندوس، والتابعين لمختلف المعتقدات القديمة والحديثة (المورمون والأحمديّة مثلاً)، واللاّدينيين، والملحدّين، وغيرها من أشكال وتوصيفات الموقف من التّدين والدّين، والتي تتنوّع وتتمدّد بسبب العجز عن الإجماع على تعريف موحدّ للدين نفسه.؟

3.39 من أهم شروط الدراسة الموضوعية والحيادية للأديان حسب أبجديات التعريف: هو أن يكون الدارس على مسافة واحدة من كل الأديان بل ومن نقيض الأديان أيضاً وصعوبة هذا الشرط تنتمي إلى دائرة أسباب نسبيّة العلوم الاجتماعية.

4.39 الاختلافات بين الأديان لا تنتمي إلى السطح بل إلى الجذور، وهو ما انتبه إليه من عملوا على ورشات ولقاءات حوار الأديان (من غير أصحاب الأجندات السياسية) فأصبحوا يتحدّثون عن مشاريع مشتركة محدّدة دون التطرق إلى أصول الأديان وركائزها(محرّبة الجماعة والحروب والأمراض وهدم خلية الأسرة وغيرها).

5.39 الاختلافات العقديّة ليست بين الأديان والمعتقدات: هي أيضاً في الدين الواحد، وقد تعرّض الفاروقي لمثل هذه الملاحظات عندما كانت الأسئلة ملحّة على المركز العالمي للفكر الإسلامي، الذي هو أحد أعمدته حول أسباب خلوّه من التّنوع المذهبي، وكيف يسعى المركز إلى الحوار مع أتباع الأديان الأخرى، وهو يعطل الحوار داخل الإسلام نفسه بين مدارسه العقديّة والفقهية.(كتاب العالم السنّي الغزالي ودستور الوحدة الثقافية).

6.39 من مسلّمات الفاروقي كما ينقلها خليفة حسن: أن كل دين مبني على أساس من وحي إلهي. هذا الشرط يجعل المقارنة اضطرارية بين تلقي الإشراقه عند "بوذا" والنور عند " joseph smith" مؤسس المورمونية وغيرهما، بالإضافة إلى كل gourou المقدسين وأصحاب الحركات الدينية اليوم، التي يملك بعضها ميزانيات دول، وانتشار غريب لأفكارهم القائمة على تلقي الوحي والإلهام من خالق الكون، ويدخل هؤلاء في مناقشات حادة مع القائمين وأتباع الأديان التقليدية مع منافسة حادة على استقطاب الأتباع، أدخلت الإنسانية في الأزمات الخطيرة للطوائف (وجرائمها الروحية والمادية). طبعاً دون تركية القائمين على الأديان التقليدية (اغتصاب الأطفال والراهبات في بعض الكنائس المسيحية).

7.39 يوضح خليفة حسن أن فكرة الفاروقي تعتمد على اليقين القرآني الذي يبين أن كل المجتمعات كان لها حظ من كرم النبوة الإلهي .

1.7.39 ذا صحيح وحقيقة قرآنية: الآية 36 من سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾، الآية 24 من سورة فاطر: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (24)

2.7.39 القرآن ملزم لنا وغير ملزم لغيرنا إلا بما تثبته لهم بمجهدنا، ونحن ننطلق من يقين لا يتزعزع إذا عجزنا عن ذلك، وفي مجال الأديان: العلوم النظرية والتطبيقية متنوعة، وتبقى نتائجها نسبية تختلف بينها من القرب من الإجماع أو "الحقيقة".

3.7.39 أفكار الفاروقي هي أقرب إلى كتاب أبي الحسن العامري: الإعلام بمناقب الإسلام.

4.7.39 انتقل تحليل الفاروقي من مقارنة الأديان إلى الدعوة إلى الإسلام، ليس فقط كفرض عين للمسلم، ولكنه أراد فرض رؤيته على مجال البحوث في الأديان، أليس هذا سببا من أسباب ما لاحظته خليفة حسن من ظلم متخصصي الأديان لجهود الفاروقي (تذكير أيضا برفض بعض متخصصي دراسة الأديان للأفكار المطعمة بالانتماء الديني صراحة من أية خلفية كانت). وما فعله ليس خاصا به فقد وقع فيه الكثير من الباحثين من مختلف المشارب بدرجات متفاوتة.

اللبنة الورشية رقم 40

ينقل خليفة حسن عن الفاروقي الفقرة التالية التي تؤكد ما سبق: الدين الماورائي في الإسلام دين مؤسسي وليس نظرية فحسب، وأن هذه المؤسسة تم اختبارها وتطبيقها على مدى أربعة عشر قرنا، وذلك بنجاح كبير رغم كل المعوقات، وهي الوحيدة بين أديان العالم أيديولوجياته التي كانت من الاتساع القلبي والروحي والحرفي، لإعطاء البشرية منحة التعددية في الشرائع لحكم نفسها بحسب شرائعها وفق مبادئ دينها الماورائي ..

1.40 الجملة عقدية يعتنقها كل المسلمين ولكن ما محلها من آليات المنهج الفينيمولوجي؟

2.40 دين الله هو الإسلام والمسلمون عباد الله يقتربون ويتعدون من حقيقة دينهم والتزامات الانتماء إليه، وقاعدة الثواب والعقاب مسألة حيوية في عقيدة المسلم، ولكن دراسة تاريخ المسلمين لا يصنّفهم فوق البشر: نواميس كونية في الاجتماع البشري العدل نموذجاً (نصرة الأمة العادلة الكافرة). الغرب من دارسي الأديان المعاصرين ومن المستشرقين الكلاسيكيين والجدد والجدريين،

كلّهم يدرسون الإسلام ويركّزون أحيانا كثيرة على التّدين للبحث عن الفجوة بين المثالي والواقعي، وانطلاقا من تضاريس التدين يسحب البعض النقد إلى قواعد وأسس الدين.

3.40 مما ورد في آخر دراسة خليفة حسن جملة تحتاج الى الكثير من التأمل والى الحث على المزيد من البحث والتفكير خصوصا مع ذكر اسم محمد عبد الله دراز ومساره العلمي المتنوع الذي يحتاج إلى استثمار حقيقي من دستور الأخلاق في القرآن الكريم إلى بحوث ممهدة الى النبأ العظيم وغيرها. يقول خليفة حسن: إذا كان الشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز قد افتتح الإسهام الإسلامي الحديث في علم تاريخ الأديان بكتابه المشهور: الدين: بحوث ممهدة في تاريخ الأديان فإن إسماعيل الفاروقي اختتم هذا الإسهام بتحديد معالم المنهج في تاريخ الأديان .

1.3.40 كلمة ختام يجب أن تقرّ عاطفيا وليس عقليا، ولكن هناك ملاحظة ضرورية تنطبق على الشيخ دراز والفاروقي وحتى حسن خليفة.

2.3.40 وجملة: نلاحظ علماء مسلمين يؤسّسون للبحوث في مقارنة الأديان، وهو مجال صعب وجديد ولا يعطي الشرعية العلمية والدعوية بين عموم المسلمين وأولي أمرهم. ربما لذلك من الحزن أن هذه القلة من العلماء تشبّت جهودها في مجالات علمية أخرى عليها اكتظاظ أصلا، وأحيانا تقطع الصلة مع مراحل الحماسة والهمة: علماء وباحثو مقارنة الأديان يحتاجون في أعمالهم إلى جهود مضنية لإخراج ثمرات قليلة عكس المجالات الأخرى .

الخاتمة:

من الصعب اختراق مجال البحوث التشريحية في أزمنة يفضل الكثيرون الطريق الآمن: تدوير المعلومات وفي أحسن الأحوال التركيب بين بعض عناصرها. إسماعيل راجي الفاروقي شخصية علمية فتحت ورشات معرفية ومنهجية في اتجاهات تبدو متباعدة، ولكنها تصب جميعها في مجال التفكير الديني. ما هو مشروع إسماعيل راجي الفاروقي المركزي؟

من غير المنطقي ادعاء معرفة الإجابة لأن المرحوم انتقل إلى جوار ربه وهو في عز عطائه العلمي، والذي يفترض أن يتيح له ولمن في وضعه فرصة المراجعة والتدقيق بعد النضج والارتقاء الإنساني، والأخلاقي والعلمي في مدارج حياة الاستخلاف.

تم تتبع بعض ما أتيح من أفكار المرحوم إسماعيل راجي الفاروقي مع استحضار أن الملاحظات التي تم إيرادها ربما كانت في ذهن المرحوم في انتظار نسجها حروفا متاحة للمهتمين.

تم التركيز على المحاور التي لها علاقة بدراسة الأديان وربما تتاح فرصة أخرى للتطرق إلى ما قدمه في محاور أخرى. كانت هناك حركة حيوية في المعرفة والمنهج تم ربطها بالخلفية الشخصية والتاريخية للمرحوم حتى يكون التعامل مع جهد إنساني من لحم ودم وليس حروفا يقتلها التدوين من باب أنها تتحرر من قيود صاحبها وتتاح كما هي للناس، وربما يكون كاتبها قد لاحظ ضرورة تصويبها أثناء رحلة التحرر تلك.

¹ أنظر:

E. KANT : *Eléments métaphysiques de la doctrine de la vertu*, trad . Jules. BARNIS, Ed :A.AURANT, Paris,1855.

:La Religion dans les limites de la Raison ,trad. André TREMESAYGUES, Ed: Félix .ALCAN, Paris; 1913

كريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1969. وعبد الرحمن بدوي: الأخلاق عند كانط، وكالة المطبوعات، بيروت، 1979.

² Max.WEBER: *L'Éthique protestante et l'Esprit du capitalisme*: trad. Jacques .CHAVY , Ed :Plon ,Paris,1964.

³ Ismail.R.al-faruqi :christian ethics :ahistorical and systematic analysis of its dominant ideas , Ed:McGILL University Press ,Montreal, 1967

⁴ محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن تعريب عبد الصبور شاهين ومراجعة السيد محمد بدوي مؤسسة الرسالة 1448- 1998 ط10

⁵ Alterité et charité en christianisme: sous la direction de: Marie-Hélène ROBERT et Michel YOUNES. Ed :PROFAC, Paris ,2015

⁶ الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الحواري: الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: پرويز اذكايي، نشر: مركز پژوهشي ميراث مكتوب، طهران، 2001.

⁷ Patricia CRONE ,Michael COOK :Hagarism :The Making of the Islamic Word,ed: Cambridge university Press .londres 1977.

⁸Fazlur Rahman. Malik Fazlur Rahman MALIK:revival and reform in Islam ed:oneworld oxford1999.

⁹ سيتم التفصيل في ذلك في نشر لاحق بادن الله. يمكن الرجوع الى:

Wilfred Cantwell SMITH : L'islam dans le monde moderne trad :L'islam Alain GUIMBRETIERE,ED :PAYOT,PARIS1962.

10-*Revue de l'histoire des religions*, tome 138, n°1, 1950, G. Van der Leeuw. La Religion dans son essence et ses manifestations 108 – 111.

¹¹ William JAMES: L'expérience religieuse :Essai de psychologie descriptive: trad: Frank ABAUZIT ed: librairie Felix. ALCAN. Paris 1931.

¹² القاضي عبد الجبار المعتزلي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج16، تحقيق أمين الخولي، الدار المصرية للترجمة والنشر، القاهرة، 1960. وشرح الأصول الخمسة، تحقيق وعبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988